حجة الإسلام
الشيخ علي أصغر خلف زاده

قصص القرآن



دار الرسول الأكرم (ص) — دار المحجة البيضاء

قصص التوابين

بسم الله الرحمن الرحيم

قصص التوابين

حجة الإسلام
الشيخ علي مير خلف زاده

دار الرسول الأكرم (ص) دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٨م

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت ـ لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمّة :

إنّ أكثر المصائب التي يتعرض لها المجتمع البشري بشيوخه وشبابه ناتجة عن الانغماس في الذنوب والمعاصي ولو ألقينا نظرة عابرة على تاريخ الأُمم والشعوب السالفة التي لم يبق منها سوى الاسم لاتضح لنا إن الأسباب الأصلية لتحلّلها وانهيارها هي الفساد والتحلّل والانغماس في معصية الله تعالى .

فالمريض إذا تمرّد على تعليمات طبيبه يطول مرضه ولا يبقى ثمة أمل بشفائه . وكذا المجتمع إذا تمرّد على أوامر الله وأحكامه يسير يوماً بعد آخر نحو الانحطاط والتحلّل .

إن المعاصي وتجاهل الأحكام الإلهية هي أكبر الاسباب في سقوط وانهيار المجتمع البشري . والمجتمع الذي تكثر فيه المعاصي لا يتسنّى له أبداً بلوغ مراتب الكمال ونيل المكارم والمفاخر . والشخص العاصي يعود ضرر عصيانه عليه أولاً ثم على مجتمعه .

أمّا من يطمح للمعالي ويتوق للفضائل فلابد له من اجتناب الرذائل والمعاصي . والحر هو من يعف بنفسه عن الأهواء ولا تنطوي سريرته على

اقتراف الذنوب؛ لأنَّ نية الذنب وحدها وإن لم يرافقها عمل تؤدي إلى تعكير صفو القلب.

قال عيسى المسيح ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ لاتباعه: لقد أمركم موسى ابن عمران أن لا تذنبوا، وانا ادعوكم اليوم إلى عدم التفكير بالذنب، فما بالكم بارتكاب الذّنب لأن من يفكّر في ارتكاب الذّنب كمن يشعل ناراً في بناء جميل ونظيف فدخان النار يضيّع جمال البناء حتى وإن لم يحرقه.

إذن فالإنسان إذا أراد الخروج من عن نطاق الحياة الحيوانية، والسير على نهج الحياة الإنسانية ينبغي له اتباع سلسلة من الأُصول المعيّنة، ومن الطبيعي إن اتباع مثل هذه الأُصول يفرض عليه التقيّد بحدود تلك الأُصول والمبادىء وعدم تخطيها وكبح جماح اهوائه ونزواته في المواقف التي تفرض عليه الانفلات من تلك الحدود. وهذه الحالة من كبح جماح الأهواء تسمى في لغة الشريعة بالتقوى.

أسعد الناس من غلب هواه واجتنب المعاصي وعاش حياة حافلة بالسكينة والاستقرار وغادر هذه الدنيا بقلب مطمئن. ولكن من سوء الحظ إن مثل هذه الشخصيات الفاضلة نادرة على مر الزمن وبين جميع الشعوب والأُمم.

وجاء الرسل والأنبياء لفتح ابواب الأمل أمام العاصين لانقاذهم من السقوط الحتمي وهدايتهم إلى طريق الفضيلة والسعادة، وتوجيههم نحو طريق العودة وبث الأمل في نفوسهم برحمة الله. والعاصي أما أن يواصل طريق الضلال والعصيان فيوقع نفسه ومجتمعه بالنتيجة في مهاوي الرذيلة، وأما أن يعود عن الطريق الخطأ الذي سار عليه ويتوب املاً في عفو الله ورحمته، ليصبح بعد ذاك انساناً صالحاً وسعيداً.

إن المذنبين الذين افلحوا في التوبة إلى الله توبة حقيقية وطهروا انفسهم بفضل الله وفي ظل رحمته من السيئات والمعاصي يستشعرون الراحة

والطمأنينة في انفسهم بعيداً عن هواجس الذلّة والمهانة، وكأنهم لم يقترفوا ذنباً، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1].

وعلى هذا ينبغي أن يفهم أن اهم ما يجب على العبد العاصي هي التوبة من ذنوبه، لأن التوبة فيها نجاة له من عذاب الدنيا والآخرة وبها ينال اللذة الأبدية، والإعراض عن التوبة يوقعه في العذاب الإلهي لأنّ من يموت بغير توبة قد ينال عقاباً صارماً. ومن البديهي بحكم العقل ان دفع الضرر المحتمل واجب، وهذا ما يوجب على المذنب المبادرة للتوبة قبل أن يقع في العذاب المحتمل.

ومن النعم التي مَنَّ بها الباري تعالى على عباده أن فتح لهم باب التوبة ووعدهم بالقبول. ويمكن القول أن تشريع التوبة وقبولها من الله تعالى عن عباده دليل على سعة رحمته ولطفه.

التوبة معناها الإقلاع عن الذنوب والعودة إلى الله، وهي أبلغ وافضل سبل التعبير عن الندم والإعتذار لله. ولولا هذا الباب لما اتيحت لاحد فرصة للنجاة لأن الطبيعة البشرية مجبولة على المعاصي والسيئات التي كثيراً ما تقترفها جوارحه وجوانحه (الأعضاء والقلب).

ذكر الراغب في مفردات الفاظ القرآن أن الإعتذار على ثلاثة انواع هي:

١ ـ أما أن يقول لم افعل.

٢ ـ أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً.

٣ ـ أو يقول فعلت ولا اعود. وهذا الأخير هو التوبة، ولها في الإسلام أربعة شروط هي:

١ ـ ترك الذنب لقبحه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢١ ح١٦.

٢ ـ الندم على ما فرط منه.

٣ ـ والعزيمة على ترك المعاودة.

٤ ـ وتدارك ما امكنه أن يتدارك من الأعمال.

وكمثال على ذلك تشبه التوبة بخلع الثياب القذرة وارتداء ثياب نظيفة وطاهرة بدلاً منها. أو هي كالاغتسال وتطهير البدن في الحمام، أو كتنظيف الدار ثم فرشها....

وصفوة القول ان الإنسان القادر على صيانة ذاته من انواع الذنوب والمعاصي والمحافظة على نقاء فطرته وصفاءها نادر جداً ولا يتسنى إلّا لمن عصم الله.

أي ان الله تعالى جعل التوبة دواء معنوياً لأمراض القلب وتطهيراً للنفس من انواع الدنس ليكون الإنسان قادراً ـ من بعد ارتكاب الذنوب ـ على تطهير نفسه بفضل التوبة ويدخل في غداد الناجين.

والسعيد هو من عرف قدر باب الرحمة هذا واغتنم الفرصة وشكر الله على هذه النعمة. والشقي من كان باب الرحمة هذا مجرد اتمام للحجة عليه اي انّه إذا اراد أن يقول في موقف القيامة وفي ساعة الحساب: الهي انني كنت جاهلاً وغلبتني نوازع الشهوة والغضب وعجزت عن مقاومة مغريات الشيطان، يقال له ألم يفتح لك باب التوبة، وهل ارهقت بما لا طاقة لك عليه، وهل جعلنا في التوبة شروطاً تعجيزية لا قدرة لك عليها...؟!

وستأتي بقية كلامنا بين دفتي الكتاب ليستفيد منها ذوو الاهتمام واشير إلى اننا اكتفينا في تدوين هذا الكتاب بالاسلوب السهل اليسير حتى يتسنى لعموم الناس الانتفاع منه. وادعو الله أن يمن بالتوبة عليَّ وعلى جميع العاصين.

الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك عام ١٤١٣

علي مير خلف زاده

طهران

١ ـ فضيلة التوبة

أحب الخلق إلى الله من تاب من ذنبه. جاء في القرآن الكريم:

﴿إن الله يحبّ التوّابين﴾[١].

قال خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله:

«ليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة»[٢].

وقال أيضاً:

«التائب حبيب الله»[٣].

وقال الإمام الباقر «ع»:

«إن الله تعالى اشد فرحاً بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها. فالله اشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»[٤].

وقال في موضع آخر:

«الله افرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج٢، ص٢١.

(٣) جامع السعادات، ج٣، ص٥١.

(٤) اصول الكافي، ج٢، ص٤٣٥.

الوارد»[1].

ذكر الشهيد آية الله دستغيب (رضوان الله عليه) في كتابه «الاستعاذة» بعد أن دعا نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) على الكفار من قومه وأخذهم الطوفان، ظهر له ملك ـ وكان النبي نوح يعمل في صناعة الجرار؛ فكان يصنع الجرّة من الطين وبعد أن تجف يبيعها ـ فكان الملك يشتري منه الجرار واحدة فواحدة ويكسرها أمامه. فغضب نوح وسأله عن سبب فعله هذا. فقال له: الأمر لا يعنيك، فانا قد اشتريتها وامرها اليَّ.

فقال له نوح عليه السلام: صحيح ولكن انا الذي صنعتها، وهي من صنعي.

قال له الملك: انت صنعتها ولم تخلقها ومع هذا فقد غضبت على كسرها، فكيف دعوت على كلّ عباد الله فهلكوا مع أن الله خلقهم ويحبهم فبقي من بعد هذه القضية يبكي وينوح حتّى سمّي نوحاً لكثرة نياحه.

والغرض من هذه القصة هو الاشارة إلى شفقة الخالق، فهو تعالى يحب مخلوقه. وهنا يعاتب نبيّه: لم دعوت على كلّ هؤلاء الناس فهلكوا. ويُستفاد من هذا أن الله تعالى يحب عبده. وهو في القرآن يحذر عباده من الشيطان ويوصيهم بعدم الاغترار بالدنيا لأنها دار خداع الشيطان.

يستفاد من هذه الآيات والروايات ان من يقترف الذنوب والمعاصي ثم يندم على عمله ويعود إلى ربّه تائباً، يفرح الله بتوبته لانه يحب عباده ولا يريد لهم العذاب بالنار.

قال أبي العتاهية:

الا أن اليقين عليه نور ‏ ‏ ‏ ‏ وأن الشك ليس عليه نور

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص٥٤١.

وأن الله لا يـــــبقى ســـواه	وان تك مـــذنباً فــهو الغــفور
وكـــم عـاينت مـن مـلك عـزيزاً	تخلى الأهل عـنه وهـم حـضور
وكـــم عـــاينت مســتلباً عـزيزاً	تكشــف عــن حـلائله الخـدور
ودمّــيت الخــدود عـليه لطـماً	وعــصبت المــعاصم والنـــحور
الم تـــر أن الدنـــيا حـــطام	وأن جــميع مـــا فـيها غـرور[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص ١٨٥.

٢ ـ ابدال السيئة بالحسنة

ان الإنسان إذا تاب لا يزيل كدورة الذنب عن نفسه فحسب، بل ويحل محله نور الطاعة أيضاً، ويُبدل الذنب بالثواب كما قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾[1].

وقد اجاد الشاعر في قوله:

اشرب فؤادك بغضة اللذات واذكر حلول منازل الأموات
لا تلهينك عن معادك لذة تفنى وتورث دائم الحسرات
ان السعيد غداً زهيد قانع عبد الإله بأحسن الأخبات[2]

(١) سورة الفرقان: ٧٠.
(٢) ديوان أبي العتاهية ص٧٩.

٣ ـ التائب تدعو له الملائكة

من يتوب من ذنبه يدعو له الملائكة الحاملين عرش الله ويستغفرون له، ويطلبون من ربّهم ان يقيه من عذاب جهنم، كما قال تعالى:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربّنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرّياتهم انك انت العزيز الحكيم﴾[1]

قال الشاعر:

يا نفس ما الدنيا بأهل نحبها
دعيها لأقوام عليها تعادت
الا قلما تبقى نفوس لأهلها
إذا راوضهن المنايا وغادت
الا كلّ نفس طال في الغي عمرها
تموت وأن كانت عن الموت حادت
الا اين من ولى به اللهو والصبا
وأيت قرون قبل كانت فبادت[2]

---

(١) سورة المؤمن: ٧ ـ ٨.

(٢) ديوان أبي العتاهية ص٨٩.

٤ ـ التائب يدخل الجنّة

ان من يتوبون ويستغفرون الله عمّا سلف من ذنوبهم وعمّا اقترفوه من المعاصي يدخلهم الله جنته خالدين فيها ابداً. وهذا ما جاء في قوله تعالى:

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أُولئك جزاؤهم مغفرة من ربّهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾[1].

أجاد الشاعر في قوله:

واحسان مولاك يا عبده ... اليك مدى الدهر غض جديد
تريد من الله احسانه ... فيعطيك اكثر مما تريد
ومن يشكر الله لم ينسه ... ولم ينقطع منه يوماً مزيد[2]

(١) سورة آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٢) ديوان أبي العتاهية ص ١٢٥.

٥ ـ التوبة تطيل العمر وتزيد في الرزق

تؤدي توبة المرء من ذنوبه إلى طول عمره وسعة رزقه وطيب معيشته وتدفع عنه الهموم والشدائد. مثلما ورد في قوله تعالى:

﴿وان استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً...﴾[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«من يموت بالذنوب اكثر ممن يموت بالآجال»[2].

وكما ان الذنب يقصّر الآجال، فان التوبة تطيل العمر، كما قال تعالى:

﴿فقلتُ استغفروا ربّكم انّه كان غفّاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾[3].

قال الشاعر:

هل لمطلوب بذنب ... توبة منه نصوح

كيف أصلاح قلوب ... أنما هن قروح

احسن الله بنا ... أن الخطايا لا تفوح

فاذا المستور منا ... بين ثوبيه فضوح[4]

---

(١) سورة هود: ٣.

(٢) سفينة البحار، ج١، ص٤٨٨.

(٣) سورة نوح: ١٠ ـ ١١.

(٤) ديوان أبي العتاهية ص١١٦.

٦ ـ الله يقبل التوبة

ان العبد متى ما آب إلى ربّه وتاب من ذنبه، فان المولى جلَّ شأنه يقبل توبته ويتجاوز عن خطيئته كما جاء في قوله تبارك وتعالى:

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات﴾[١].

جاء في اصول الكافي حديث منقول عن صادق آل محمد صلّى الله عليه وآله يقول فيه: «قال الله عزّ وجل لداود عليه السلام: يا داود بشّر المذنبين وانذر الصديقين. قال: كيف ابشّر المذنبين وانذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين اني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين الّا يعجبوا باعمالهم فانّه ليس عبد انصبه للحساب إلّا هلك»[٢].

قال الشاعر:

ألّا أن لي يوماً أدان كما دنت ... ليحصي كتابي ما اسأت وأحسنت

أما والذي أرجوه للعفو انّه ... يعلم ما أسررت فيه واعلنت

كفى حزناً أني أحس طنى البلا ... يقبّح ما زينت في وحسنت

واعجب من هذا هناة تغرني ... تيقنت منهنّ الذي تيقنت[٣]

(١) سورة الشورى: ٢٥.

(٢) اصول الكافي: ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) ديوان أبي العتاهية ص ٩٠.

٧ ـ دعاء التائب مستجاب

من جملة نتائج التوبة انها تجعل دعاء التائب مستجاباً؛ أي انّه إذا نـدم على ما ارتكبه في ما مضى من المعاصي وتاب منها واستغفر ربّه من تـبعاتها يصبح دعاؤه مستجاباً كما ورد في قوله تعالى:

﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾[١].

ونقرأ أيضاً في الكتاب الكريم:

﴿وإذا سألك عبادي عني فانّي قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليأمنوا بي لعلّهم يرشدون﴾[٢].

قال الشاعر:

الا صـاحب الذنب لا تـقنطنَّ فـأن الإلـــه رؤوف رؤوف
ولا تـــرحـــلنّ بـــلا عـــدةٍ فان الطريق مخوف مخوف[٣]

(١) سورة الشورى: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) ديوان الإمام علي (ع) ص٨٨.

وقال الشاعر:

يـا نـفس مـهلاً لا تـعودي بأي ذنب لا تـــعودي
يـا نـفس لا تـعصي الإله وحـاذري يـوم الوعـيد
يـا نـفس مـا دام الهـنا فـلم التـجاوز للـحدود
هـلاّ بكـيت خـطيئة بـجهنم حـذر الخـلود
هـلاّ اعـتبرت بـمن قـضى قـبل المـمات والصـعود
افـلا نـظرت إلى الثـرى وذكـرت انك للـصديد
يـا نـفس ايـاك الهـوى ايـاك مـن شـرك الحـقود
ايـاك مـن فـعل القـبيح الا احذري مـن نكث العـهود
لا تأمـني سـخط الرؤوف الا احـذري سـخط الودود
واذكـري الحشـر المـخيف وعـن رقـيب لا تـحيدي

يا نفس مهلاً لا تعودي

اغـفلت عـن خـطر بـه يأتـي المـمات مـن جـديد؟
اغفلت عـن مـوت يـفاجيء كـلّ افـاك عـتيد؟[1]

(١) سنابل الحكمة: ص٢٧٨.

٨ ـ التوبة تمحو الذنوب

ان للتوبة فعل كفعل مساحيق التنظيف وآلة غسل الثياب التي تزيل كلّ قذارة أو أوساخ عالقة بـالثياب. فكـذا تـفعل التـوبة والتـضرع والإسـتغفار والدموع كما نقرأ في قوله تعالى:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يـغفر الذنوب جميعاً انّه هو الغفور الرحيم﴾[١].

جاءت في هذه الآية تعابير من قبيل: يا عبادي، لا تيأسوا، رحمة الله، غفران الذنوب جميعاً، ان الله غفور رحيم. وفي كلّ واحـدة مـنها دلالة عـلى شمول الإستغفار وقبول التوبة واتسـاع رحـمة الله، وخـاصة التـعبير بكـلمة «عبادي» التي تبين ان الناس بأجمعهم ـ الصالح والطالح منهم ـ عباد الله.

وان الله رؤوف بهم إلى درجة انّه سمّاهم عباده. وهذا يـعني ان فسـحة الأمل بالمغفرة واسعة.

سمع الإمام الرضا عليه السلام بعض اصحابه يقول: لعن الله من حارب علياً عليه السلام. فقال له: «قل إلّا من تاب واصلح». ثم قـال: «ذنب مـن تخلّف عنه ولم يتب اعظم من ذنب من قاتله ثم تاب»[٢].

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) ميزان الحكمة: ج ١، ص ٥٥١.

يُفهم من هذا الحديث ان اعظم الذنوب وهو محاربة وصي الرسول صلّى الله عليه وآله يغفر بالتوبة، اي ان احدهم إذا تاب، تاب الله عنه.

ينسب إلى أمير المؤمنين انّه قال:

ذنـــوبي إن فكـــرت بـهـا كـثيرة ورحمة ربي مــن ذنــوبي أوســع
فما طمعي في صالح قـد عـملته ولكـــني فـــي رحــمة الله أطـمع
فـــان يك غـفران فـذاك بـرحــمة وان لم يكن أُجزى بما كنت أصنع[1]

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص٨٢.

٩. العودة إلى الذنب بعد التوبة

إذا تاب الشخص ولكن غرّه الشيطان وغلبه هوى نفسه وارتكب الذنب مرّة اخرى، ونقض العهد الذي قطعه مع ربّه لا تبطل توبته السابقة بل يجب عليه الإستغفار من الذنب الذي ارتكبه بعد التوبة، ويجب ان لا ييأس من رحمة الله، ولا يتصور ان الله لا يغفر الذنب الذي ارتكبه ثانية. لأن اليأس بحد ذاته من الكبائر، وانّه تعالى قد وصف نفسه بالمغفرة والتجاوز عن المسيء.

روى محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام انّه قال:

«يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له. فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة أما والله انها ليست إلّا لأهل الإيمان.

قلت: فان عاد بعد الإستغفار والتوبة من الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال: يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته؟

قلت: فان فعل ذلك مراراً؟ يذنب ثم يتوب ويستغفر الله. فقال: كلّما عاد المؤمن بالإستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فاياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله»[1].

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٤٣٤.

كان في بني اسرائيل شاب عَبدَ الله عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرآى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال:

إلهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فان رجعت اليك اتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول:

احببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، وان رجعت قبلناك.

هذه الرحمة الإلهية كانت لجميع الأمم، ولهذه الأُمة اكثر من تلك الف مرّة.

وعلى كلّ حال يجب ان يكون للمرء امل بالله. اوصى لقمان الحكيم ابنه: «يا بني خف الله خوفا لو اتيت يوم القيامة ببر الثقلين خفت ان يعذبك وارج الله رجاءً لو وافيت القيامة باثم الثقلين رجوت ان يغفر الله لك»[1].

يقول ابو بصير: سألت الصادق عليه السلام: ما معنى التوبة النصوح التي امرنا بها؟ قال: «**يتوب العبد من ذنب ثم لا يعود فيه**».

قلت: وأينا لا يعود؟

فقال: «**يا ابا محمد ان الله يحب من عباده المفتن التواب**»[2].

جاء في «حقائق الأسرار» ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

«**... يابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني اغفر لك ولا ابالي**»[3].

(١) بحار الأنوار: ج١٣، ص٤١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦، ص٣٩.

(٣) حقائق الأسرار، مسند احمد بن حنبل ٥، ص١٦٧، ١٧٢.

قال الشاعر:

الا من لنفسي بالهوى قد تمادت
إذا قلت قد مالت عن الجهل عادت
وحسب امرىءٍ شراً بأهمال نفسه
وإمكانها من كلّ شيء أرادت
تزاهدت في الدنيا واني لراغب
أرى رغبتي مزوجةً بزهادتي[١]

وأجادَ بعض الصلحاء بقوله:

قرأت كتابه وعصيت أمره ... وقد عرضت نفسي للمضرة
أتوب اليه ثم اعود جهلاً ... فمن لي بالنجاة من المعرّة
وما أبغي سوى مال وجاه ... واهل الله قد قنعوا بكسرة
وقد ولى الشباب بغير نفع ... وما استكملت إسباب المسرّة
فلا الدنيا بلغت بها الأماني ... وآخرتي تركت لها مبرّة
ولي عمل علي به شهود ... وما يسوى على التقديم ذرّة
فحالي لا يسر بها صديق ... ونفسي في هواها مستمرّة
ولو فكرت في عقبى اموري ... قطعت العمر بين اسى وحسرة[٢]

(١) ديوان أبي العتاهية: ص٨٩.
(٢) حدائق الانس ج١ ص١٨٢.

١٠ ـ باب التوبة مفتوح حتّى النفس الأخير

ان باب التوبة مفتوح أمام الإنسان حتّى النفس الأخير من حياته كما قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ان آدم صلّى الله عليه وآله قال: يا رب، سلطت عليَّ الشيطان، واجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئاً. فقال: يا آدم، جعلت لك ان من همَّ من ذريتك بسيّئة لم تكتب عليه، فان عملها كتبت عليه سيئة، ومن هَمّ منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة، فان هو عملها كتبت له عشراً.

قال: يا رب زدني.

قال: جعلت لك من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له.

قال: يا رب زدني.

قال: جعلت لهم التوبة، وبسطت لهم التوبة حتّى تبلغ النفس الحنجرة.

قال: يا رب حسبي[١].

وجاء في اصول الكافي حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله انّه قال:

«من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: ان السنة لكثيرة،

---

(١) جامع السعادات: ج٣، ص٦٧.

من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال: ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: ان الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال: ان يوماً لكثير، من مات قبل ان يعاين قبل الله توبته»(١).

احتمل العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه ان يكون المراد من هذا الحديث بيان مراتب التوبة من حيث القبول والكمال؛ لأن التوبة الكاملة تجلو القلب من كدورة الذنوب والمعاصي. ويجب بعد التوبة وبعد زوال الرين عن القلب المبادرة إلى اصلاح النفس. فبعد غسل القلب بالمساحيق والمنظفات يلجأ حينها إلى التضرع والحسنات ليزيده بياضاً ونقاءً، وهذا غالباً لا يتحقق في اقل من سنة، والاّ لا يكون في اقل من الشهر، والاّ فلا يكون دون الأُسبوع.

الإنسان كالغزال الذي لم يرمه الصياد بعد، ولا أمل له في اصطياده، ولكنه ما إن يصوب اليه سهمه ويجرحه حتّى يزداد امله في امساكه، ويبقى يتابعه حتى يمسكه. والإنسان ما دام لم يذنب، فلا أمل للشيطان في اغوائه، ولكنه إذا ارتكب ذنباً واحداً ولم يتب، يعظم أمل الشيطان ويبقى يسايره حتى يغويه ويوقعه في المعصية، ويشحن قلبه يأساً من رحمة الله ويجرأه على المعصية. إلّا ان الإنسان مهما ارتكب من الذنوب والمعاصي لا ينبغي له اليأس من رحمة الله حتى لحظة الموت. لكن هذا لا يعني انّه يعصي ثم يقول: لا زال أمامي متسع من الوقت. لأننا لا نعلم متى نموت؛ في عمر الشباب ام عند الشيخوخة، صغاراً أم كباراً، وفي أية ساعة نموت وعلى اية حالة.

اذن تجب علينا المبادرة إلى التوبة قبل حلول الموت.

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٤٤٠.

قال الشاعر:

خير اكتساب الفتى ماكان من عمل
ذاك مـصبر عـلى عسـر ومـيسرة
وأفضل الزهد زهدٍ كان عن جـدةٍ
وأفـضل العـفو عـفو عـن مـقدرة
اســتغفر الله مــن ذنــبي وأسأله
عــيشاً هــنياً بـاخلاق مـطهّرة[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٩٨.

١١ ـ حقيقة التوبة

حقيقة التوبة الندم على الذنب لقبحه عند الله تعال ولأن الإتيان به يكون خلافاً لرضاه تعالى. قال عليٌّ عليه السلام:

«لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى من عصيت».

اي لا تكن كغلام يعصي مولاه وهو غافل عن انّه يراه. وإذا فهم انّه يراه يندم قطعاً على سوء فعله. أو كتاجر يخسر رأس ماله في تجارة ويصبح بذمته قرض عظيم فكم يا ترى يندم على تلك التجارة ولا سيما ان كان صديقاً عاقلاً قد نهاه مسبقاً عن هذه التجارة. أو كرجل حذّره الطبيب من تناول طعام معين ولكن اكل منه فوقع في المرض، فكم يندم على فعله.

ومن البديهي انّه كلّما ازداد ايمان المرء بالله واليوم الآخر وبالاخبار الواردة في القرآن وعن الرسول والأئمة المعصومين، كان ندمه على الذنب اشد.

اذن حقيقة التوبة هي ان الإنسان إذا ارتكب معصية وندم عليها وتاب منها، كفاه ذلك. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«الندامة توبة»[١].

وجاء في كتاب اصول الكافي عن الامام الباقر عليه السلام انّه قال:

«كفى بالندم توبة»[٢]

(١، ٢) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، الباب ٨٣.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من عبد اذنب ذنباً فندم عليه إلّا غفر الله له قبل ان يستغفر»[١].

أجل، ان حقيقة التوبة هي الندم القلبي، واستشعار الألم من وقوع الذنب، وكلّما كانت الحسرة في القلب عليها أشد كانت التوبة اقرب إلى القبول؛ لأنه كلّما استعظم الذنب كَثُر ندمه عليه، وهو في ذلك كمن يفقد ماله وثروته في حادثة حريق، فكلّما كانت ثروته التي احترقت عظيمة ازداد ألمه وحسرته على تهاونه في الحفاظ عليها، وخاصة إذا كانت النار مما يصعب اطفاؤه، ثم يجد نفسه هو الآخر عرضة للاحتراق بحيث لا يجد أمامه سبيلاً للهرب منها ولا يأتيه مغيث ولا يسعفه مسعف.

وعلى المذنب أن يعلم أن نار الذنب الذي اقترفه لا مفر منها ولا احد قادر على إطفائها؛ لانّها نار يؤجّجها غضب الله وسخطه كما وصفها امير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل بقوله:

«فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وهو بلاء لا يكون إلّا عن غضبك وانتقامك».

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله انّه قال:

«فالويل من النار التي تكون نار الدنيا بالمقارنة معها راحة».

ثمة آيات كثيرة في القرآن تتحدث عن غضب الله وسخطه وخلاصة مفادها ان المذنب عليه ان يخشى ربّه ويكون في فرق شديد من عذابه، ويداوم على البكاء والعويل ولا يقر له قرار ما دام غير متيقّن من طهارته من الذنب. ومثل هذا اليقين لا يمكن بلوغه إلّا عند الموت وحين تبشّره ملائكة الرحمة. والعجيب هنا انّ ما قيل في انها ـ اي التوبة ـ ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ والدموع والأنين والآهات هي التي تطفيء نار جهنم ولهيبها حتى يصبح كما

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، باب ٨٣.

كان قبل اقتراف الذنب. كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[١].

بل وقد يغدو حاله افضل مما سبق؛ اي نتيجة لاستمرار البكاء والأسف على ما صدر منه وسعيه إلى ترويض نفسه، يقرّبه من خالقه حتّى يصبح حبيباً له. ﴿ان الله يحبّ التوابين﴾.

ولهذا قال الإمام السجاد عليه السلام: «واوجب لي توبة توجب لي محبّتك»[٢].

او كما جاء في دعاء ابي حمزة الثمالي: «وانقلني إلى درجة التوبة اليك».

أما تأثير التوبة في تطهير الذنوب فيتوقف مداه على مدى الندم. وهذا ما يوجب عليه الندم على اشد ما يكون، وافضل وسيلة في هذا الصدد هي التدبّر في الآيات والاحاديث وقصص التوابين.

قال الشاعر:

تتوبَ من الذنوب إذا مرضتا
وترجع للذنوب إذا بريتا

إذا ما الضرُّ مسّك أنت باكٍ
وأخبث ما يكون إذا قويتا

(١) الصحيفة السجادية.

(٢) بحار الأنوار ج٦، ص٢١ ح١٦.

فكـــم مـــن كـــربة نـــجاك مـنها
وكـــم كشـــف البـــلاء إذا بـليتا[١]

وقال الشاعر:

ان المكـــارم أخـــلاق مـــطهرة
فـــالدين اولهـــا والعـقل ثـانيها
والعـــلم ثـــالثها والحـلم رابـعها
والجود خامسها والعرف ساديها
والبـــر ســـابعها والصـبر ثـامنها
والشكر تاسعها واللـين عـاشيها
والعين تعرف من عيني مـحدثها
إن كان من حزبها أو من أعـاديها
والنـفس تـعلم انـي لا أصـدقها
ولست أُرشد إلّا حين اعـصيها[٢]

(١) ديوان ابي العتاهية: ص٩٦.

(٢) سنابل الحكمة: ص١٩٥، ديوان الامام علي عليه السلام: ص١٣٢، باختلاف يسير بالالفاظ.

١٢ - ذم تأخير التوبة

أمر الباري تعالى عباده بالتوبة في كلّ لحظة وفرض عليهم التعجيل بها. اي ان تأخيرها تأخير عن اداء الأمر الإلهي. والذي يؤخر التوبة يعد في كلّ لحظة عاصياً لأمر الله وتاركاً لطاعته. قال الإمام الجواد عليه السلام.

«تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حسرة»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجيء التوبة بطول الامل»[٢].

وقال أيضاً:

«لا دين لمسوّف بتوبته»[٣].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«اياك والتسويف فانه بحر يغرق فيه الهلكى»[٤].

واعلم ان التوبة عند رؤية آيات العذاب وعند دنو الأجل، غير مقبولة.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٣٠.
(٢) بحار الانوار: ج٦، ص٣٧.
(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٠.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٦٤.

وهي كتوبة فرعون عند غرقه اذ لم يقبل توبته. كما جاء في الآية الشريفة:

﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتّى إذا حضر احدهم الموت قال تبت الآن﴾[١].

كما ويستفاد أيضاً من قوله تعالى:

﴿قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون * أثُمّ إذا ما وقع آمنتم به ءَآلآن وقد كنتم به تستعجلون﴾[٢]. ان ابواب التوبة تغلق عند نزول العذاب، ومثل هذه التوبة توبة اضطرارية ولا تقبل.

قال محمد الهمداني: سألت الإمام الرضا عليه السلام: لأي علّة اغرق الله فرعون، وقد آمن به واقر بتوحيده؟ قال: «**لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول**»[٣].

اذن يجب على المرء ان يبادر للتوبة عمّا سلف من ذنوبه قبل ان يرى آيات العذاب، وقبل ان ينزل به الموت.

قال الشاعر:

سبحان ربك ما أراك تتوب
والرأس منك بشيبه مخضوب
سبحان ربّك ذي الجلال أما ترى
نوب الزمان عليك تنوب

---

(١) سورة النساء: ١٨.
(٢) سورة يونس: ٥٠ ـ ٥١.
(٣) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٣.

سـبحان ربك كـيف يـغلبك الهـوى
سـبحانه ان الهـوى لغـلوب
سـبحان ربّك مـا تـزال ومـنك
عن اصـلاح نـفسك فـترة ونكـوب
سـبحان ربّك كـيف يـلتذ امـرؤ
بالعيش وهو فـي نـفسه مـطلوب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية، ص٤٤.

١٣ - وجوب الإسراع في التوبة

ان التوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها واجب فوري باجماع كلّ العلماء وبحكم العقل. فقد ذكر المحقق الطبرسي في تجريد الكلام، والعلامة الحلي في شرحه ان التوبة الفورية فيها دفع لضرر، ودفع الضرر واجب عقلاً. فالتوبة اذن واجبة بحكم العقل. قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿... وتوبوا إلى الله جيمعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1].

وقال أيضاً:

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربّكم ان يكفّر عنكم سيئاتكم﴾[2].

ذكر المرحوم الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه في شرح الأربعين: لا شك في وجوب الإسراع في التوبة. فالمعاصي كالسموم للابدان. وكما ان من يتناول السم يجب عليه الإسراع إلى المعالجة لكي لا يموت، فكذا الخائف من موت الأبد يجب عليه التعجيل في ترك الذنب والمبادرة إلى التوبة. والمذنب المتهاون في التوبة ويرجئها إلى وقت آخر يجعل نفسه بين خطرين إذا نجا من احدهما وقع في الآخر:

---

(١) سورةالنور: ٣١.

(٢) سورة التحريم: ٨.

اولهما: حلول الأجل بغتة بحيث لا تتسنى له اليقظة من سبات الغفلة إلا ان يرى اجله قد حان كما جاء في القرآن الكريم:

﴿أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون﴾(١).

وقال تعالى أيضاً في كتابه الكريم:

﴿وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون﴾(٢).

قيل في تفسير هذه الآية ان المحتضر يقول لملك الموت: امهلني يوماً لأتوب من ذنوبي، واعد نفسي للآخرة. فيقول له: قضي اجلك. أي أن باب التوبة يغلق بوجهه وتخرج روحه من بدنه. فتأخذه الحسرة والندم على ما فرط فيه من عمره، وحتّى ان اصل الإيمان قد يتعرض في مثل هذه المواقف للخطر.

وثانيهما: انّه إذا لم يطهر قلبه من الذنوب ـ عن طريق التوبة ـ فان الآثام تتراكم على قلبه حتى لا يعود من الممكن تطهيره، لأنه كلّ معصية يقترفها الإنسان تجعل حجاباً من الظلمة على قلبه، كالنفس على المرآة يعتم على صفوها.

وإذا تراكمت الذنوب على القلب زادته كدورة، وتتصلب الكدورة تدريجياً حتى تصبح طبقة صلبة وتغدو في عداد طباع الإنسان بحيث يطبع عليه ولا تعد له قدرة على استيعاب الحق أو القبول به. اي انّه يفقد على اثر تراكم الذنوب صفاءه ونقاءه.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٧.

(٢) سورةالمنافقون: ١٠ ـ ١١.

اجل، مثل هذا القلب يسمى في الروايات بالقلب المنكوس أو القـلب الأسود. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ما من شيء افسد للقلب من خطيئته، ان القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه فتصير اعلاه اسفله»[١].

وقال في حديث آخر:

«لم يرجع صاحبه إلى خير ابداً»[٢].

وهذا يدل على ان صاحب مثل هذا القلب لا يكف عن ذنوبه ولا يتوب منها. وإذا قال بلسانه تبت، فهو مجرد كلام يجري على لسانه ولا يترتب عليه اي أثر. وهو كمن يدّعي انّه غسل ثيابه؛ فمثل هذا الإدعاء لا يؤدي إلى طهارة ثيابه أبداً. وقد يكون شخصاً كهذا على درجة من اللامبالاة في دينه حتّى ان اساس ايمانه يكون عرضة للخطر، وتنتهي عاقبته إلى الشر.

قال الشاعر:

مضى أمسك الباقي شهيداً معدلا
وأصبحت في يومٍ عليك شهيد
فان كنت بالأمس اقترفت اساءةً
فثن باحسان وأنت حميد
ولا تُرج فعل الخير يوماً إلى غدٍ
لعلّ غداً يأتي وأنت فقيد[٣]

(١) اصول الكافي: ج٢، ٢٦٨ ح١، بحار الأنوار ج٧٣، ص٣١٢ ح١.
(٢) اصول الكافي: ج٢، ص٢٧٣ ح٢٠.
(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام ص٤٧.

وقال الشاعر:

يـــا نـــاظراً يـــرنو بـــعيني راقـــد
ومشـــاهداً للامـــر غـــير مشـــاهد
مـــنتك نـــفسك ضـــلة فـــأجبتها
طـرق السـفاهة فـعل غـير الراشـد
تصل الذنوب إلى الذنوب وتـرتجي
فـــوز الجـــنان ونـــيل أجـر العـابد
ونســـــيت أنّ الله أخـــــرج آدمـــاً
مـــنها إلى الدنـــيا بـــذنب واحـد[1]

(١) سنابل الحكمة ص٢٧٩.

١٤ ـ التوبة النصوح في القرآن

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في معنى النصوح: «ان يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع»[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام في بيان معنى التوبة النصوح:

«هو الذنب الذي لا يعود فيه ابداً»[٢].

وقال الإمام الهادي عليه السلام في معنى النصوح:

«يكون الباطن كالظاهر وافضل من ذلك»[٣].

نقل المرحوم المجلسي عن شرح الكافي عدّة اوجه عن المفسرين في معنى التوبة النصوح قال فيه:

١ ـ ان النصوح ماكانت خالصة لوجه الله سبحانه، بأن يندم على الذنوب لقبحها وكونها خلاف رضى الله تعالى لا لخوف النار مثلاً أو طمعاً في الجنّة.

٢ ـ المراد من التوبة النصوح هي التي تنصح الناس اي تدعوهم إلى الإتيان بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها. أو تنصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود اليها ابداً.

---

(١) مجمع البيان: ج١٠، ص٣١٨.

(٢) اصول الكافي: ج٢، ص٢٣٢.

(٣) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٣.

٣ ـ ومنها ان النصوح من النصاحة بمعنى الخياطة لأنّها تنصح من الدين ما مزّقته الذنوب، أو يجمع بين التائب وبين اوليائه واحبّائه كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب.

٤ ـ ومنها ان النصوح وصف للتائب، واسناده إلى التوبةبان تأتوا بها على اكمل ما ينبغي ان تكون عليه حتى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلّية. ويروّض نفسه بالتوبة اي يذيب بالرياضة ما نبت على بدنه من اللحم الحرام. ويزيل عن قلبه كدورات المعاصي.

أجاد الشاعر في قوله:

أصبحت يا دار الأذى أصفاك ممتليء قذى
اين الذين عهدتهم قطعوا الحياة تلذذا
سنصير أيضاً مثلهم عما قليل هكذا
يا هؤلاء تفكروا للموت يغذو من غذا[1].

(١) ديوان أبي العتاهية ص١٦٢.

١٥ ـ تكفير الذنوب

من الأركان الأساسية للتوبة التكفير عن الذنب؛ فهو يؤدي إلى غسل آثاره ويفك الإنسان من اغلاله، وهو ما يسمى في الشريعة بالتكفير أو الكفارات بمعنى التغطية والتطهير. والتكفير يقابل في معناه الإحباط.

الإحباط يعني ان يرتكب الإنسان ذنباً كبيراً يوجب بطلان سائر اعماله. أما التفكير فمعناه ان يزيل آثار ذنوبه السابقة، فيكون هذا سبباً لازالة جميع الذنوب السابقة عن صفحات قلبه. وبعبارة اخرى ان للتوبة مرحلتان:

١ ـ ترك الذنوب والإقلاع عنها (التخلية).

٢ ـ الإكثار من الأعمال الصالحة وفعل الخيرات (التحلية).

أي كالمصاب بالحمّى، وعلاجه يستدعي خطوتين:

الأولى: اخذ الدواء المضاد للحمى.

والثانية: تناول الأدوية المقوية.

ليتغلب على الأضرار الناتجة عن المرض من قبيل الضعف وقلة المناعة وما شابه ذلك. ومرتكب الذنوب والمعاصي يتطلب علاجه مرحلتين أيضاً، هما:

١ ـ تناول الدواء المفيد في ترك الذنوب والإقلاع عن المعاصي؛ فيطهر نفسه من جميع الرذائل (التخلية).

٢ ـ يجب ان يتناول الأدوية المقوية والمنشطة وان يسارع إلى فعل الخيرات والعمل الصالح حتى يبلغ مرحلة تتحول فيها سيئاته السابقة إلى حسنات.

اي لا يغسل الذنوب عن صفحة القلب فقط بل ويستبدلها بالمعطيات الحسنة لاعماله الصالحة. على سبيل المثال ان كان هناك من يؤذي ابويه ثم تاب، لا يكفي مجرد قطع الأذى عنهما، بل لابد له وان يعوض عن ايام الاذى بالاحسان والمحبّة.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾[١]. وقال أيضاً:

﴿يبدّل الله سيئاتهم حسنات﴾[٢]. وقال أيضاً:

﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾[٣]. وقال أيضاً:

﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم﴾[٤].

وجاء في موضع آخر من القرآن الكريم:

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفّرنّ عنهم سيئاتهم﴾[٥].

والمراد من غفران الذنوب محوها حتّى لا يبقى شيء منها.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿... فالّذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفّرن عنهم سيئاتهم﴾[٦].

---

(١) سورةالرعد: ٢٢.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) سورة هود: ١١٤.

(٤) سورةالنساء: ٣١.

(٥) سورة العنكبوت: ٧.

(٦) سورة آل عمران: ١٩٥.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

«اتق الله حيث كنت، وخالق الناس بخلق حسن وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها»[١].

وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«... من عمل سيئة في السر فليعمل حسنة في السر ومن عمل سيئة في العلانية فليعمل حسنة في العلانية»[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«التائب إذا لم يستبن أثر التوبة فليس بتائب؛ يرضي الخصماء، ويعيد الصلوات، ويتواضع بين الخلق، ويتقي نفسه عن الشهوات»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ثمرة التوبة استدراك فوارط الهفوات»[٤].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«ما أحسن الحسنات بعد السيئات»[٥].

سأل رجل رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما كفارة الغيبة؟ قال:

«تستغفر لمن اغتبته»[٦].

وقال الإمام علي عليه السلام:

«من كفّارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٦٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١١، ٣٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٦، ص ٣٥.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٣٤٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج١١، ص٣٨٤.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٥٨٣.

المكروب»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«اربع من كن فيه كمل اسلامه ومحصت ذنوبه: من صدق لسانه مع الناس، واستحيا من كلّ قبيح، وحسن خلقه، وشكر الله»[٢].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«ان من الذنوب ذنوبا لا يكفّرها صلاة ولا صدقة، قيل: يا رسول الله فما يكفّرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة»[٣].

جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله كثرت ذنوبي وضعف عملي. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اكثر السجود فانّه يحط الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر»[٤].

قال الشاعر:

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه
كأن به عن كلّ فاحشة وقرا
سليم دواعي النفس لا باسطاً يداً
ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هجرا
إذا ما بدت من صاحب لك زلةٌ
فكن أنت مرتاداً لزلته عذرا[٥]

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٨، ص١٣٥.
(٢) خصال الصدوق: ص٢٢٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٣، ص١٥٧.
(٤) بحار الأنوار: ج ٨٥، ص١٦٢.
(٥) ديوان أبي العتاهية.

١٦ ـ شروط صحّة التوبة

من شروط صحة وكمال التوبة هي ان يتوب المذنب ويتدارك ما فاته من الذنب مع العزم على عدم العودة إلى ما فرط به وان يجتهد في الطاعة. وشروط قبول التوبة ستة اشياء، قال امير المؤمنين عليه السلام لرجل سمعه يقول: استغفر الله. «ثكلتك امّك، اتدري ما الإستغفار؟ ان الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان:

١ ـ الندم على ما مضى.

٢ ـ العزم على ترك العودة اليه ابداً.

٣ ـ تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله ليس عليك تبعة.

٤ ـ تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقّها.

٥ ـ ان تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد.

٦ ـ ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية. فعند ذاك تقول: استغفر الله[1].

نعم، من مستلزمات صحة وكمال التوبة الحسرة والندم على الذنب والعزم على ترك العودة اليه في المستقبل. فاذا لم يصمم المرء على الترك فهذا

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٣٧.

يدل على عدم رغبته الحقيقية في ترك الذنب.

ومن ضرورات الحسرة والندم على الذنب هي اداء ما فرط فيه. فاذا كان الحق لله كترك الصوم والصلاة والخمس والزكاة والحج، وجب عليه قضاؤه. وإذا كان الحق للناس وجب عليه اعادة الحق إلى صاحبه، وان كان صاحب الحق قد توفي يعيده إلى ورثته، وإذا لم يعرف ورثته يتصدق به نيابة عنه. وإذا كان الحق حقاً عرضياً؛ اي انّه آذى احداً باخلاقه وجوارحه يطلب منه العفو والصفح ويسترضي من آذاه. وإذا كان الحق يوجب حداً كالقذف وجب عليه الإذعان لصاحب الحق ليقيم عليه الحد أو يعفو عنه.

قال امير المؤمنين عليه السلام:

«التوبة ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك الجوارح، واضمار ان لا يعود»[1].

قال الإمام السجاد عليه السلام:

«انما التوبة العمل والرجوع عن الأمر وليست التوبة بالكلام»[2].

قال العظيم في كتابه الكريم:

﴿إلّا الّذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾[3].

ويستفاد من جملة «اصلحوا» ان من شروط التوبة تدارك ما سلف من الذنب. ويكون التدارك عادة بالاعمال الصالحة بشتى صورها كالمساعدة المالية والجهاد في سبيل الله، والصوم، وقيام الليل و... الخ. ولكن من الأفضل تدارك كلّ ذنب بما ينافيه، فتدارك ذنب السفور مثلاً يكون بالعفة والمحافظة

---

(١) ميزان الحكمة ١: ٥٤٩ عن غرر الحكم، وبحار الأنوار ج٧٨ ص٤٨ ح٦٦.

(٢) كشف الغمة: ج٢، ص٣١٣..

(٣) سورة النور: ٥.

التامّة على الحجاب. وذنب الغيبة يتداركها المذنب بصيانة اللسان وضبطه. والظلم والجور يتداركها المرء بالاحسان إلى المظلومين والأخذ بيد من يحتاج إلى العون. ومعصية نظرة السوء ان يعف المرء بصره ويغضّه عمّا لا يجوز له النظر اليه ويمكن تداركه أيضاً بما يوجب له الثواب كالنظر إلى القرآن وإلى وجه العالم وإلى وجه الأب والأم.

قال الإمام السجاد عليه السلام:

«كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الإخوان»[1].

قال الشاعر:

اصبر لكلّ مصيبة وأتجلد
واعلم بأن المرء غير مخلّد
أما ترى أن المصائب جمة
وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة
هذا سبيل لست فيه بمفرد[2]

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٥٨٤.
(٢) ديوان أبي العتاهية ص ١٢٩.

١٧ ـ اكمال التوبة

يجدر بالمرء بعد التوبة الإتيان بعدد من الأعمال هي :

الأول : صيام ثلاثة ايام ، امتثالاً لقول الصادق عليه السلام :

«التوبة النصوح صوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة»[١].

الثاني : غسل التوبة . إذ قال الرضا عليه السلام لمن اراد التوبة عن سماع الموسيقى والغناء :

«قم فاغتسل»[٢].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **«انّه ليس من عبد عمل ذنبا كائنا ما كان وبالغاً ما بلغ ثم تاب الاّ تاب الله تعالى عليه»**. ثم انّه قال لمن جاءه تائباً :

«فقم الساعة واغتسل وخرّ لله ساجداً»[٣].

الثالث : الصلاة ركعتين أو اربع ركعات ، كما قال الصادق عليه السلام :

«ما من عبد اذنب ذنباً فقام فتطهر وصلّى ركعتين واستغفر الله إلّا غفر له وكان حقّاً على الله ان يقبله لانه سبحانه قال : ومن يعمل سوء أو يظلم

---

(١) وسائل الشيعة : كتاب الجهاد ، الباب ٨٨.

(٢) مستدرك الوسائل : ٢ ، ص٥١٢ ح٢ .

(٣) مستدرك الوسائل ج٢ ، ص٥١٤ ذ ج٣ .

نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً».

وجاء في كتاب الإقبال، في باب اعمال شهر ذي القعدة ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لاصحابه في يوم الأحد من شهر ذي القعدة: «يا ايها الناس من منكم يريد التوبة؟ قلنا كلّنا نريد التوبة يا رسول الله فقال عليه السلام اغتسلوا وتوضأوا وصلوا اربع ركعات واقرأوا في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين مرة ثم استغفروا سبعين مرة ثم اختموا بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قولوا:

«يا عزيز يا غفار اغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت. ثم قال عليه السلام: ما من عبد من امتي فعل هذا إلا نودي من السماء يا عبدالله استأنف العمل فانك مقبول التوبة مغفور الذنب وينادي ملك من تحت العرش أيها العبد بورك عليك وعلى أهلك وذريتك وينادي مناد آخر ايها العبد ترضى خصماؤك يوم القيامة وينادي ملك آخر ايها العبد تموت على الإيمان ولا اسلب منك الدين ويفسح في قبرك وينور فيه وينادي مناد آخر ايّها العبد يرضى ابواك وان كانا ساخطين وغفر لابويك ذلك ولذريتك وانت في سعة من الرزق في الدنيا والآخرة وينادي جبرئيل عليه السلام انا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام وآمره ان يرفق بك ولا يخدشك أثر الموت انما تخرج الروح من جسدك سلّاً قلنا يا رسول الله لو أن عبداً يقول في غير الشهر فقال عليه السلام: مثل ما وصفت وانما علمني جبرئيل عليه السلام هذه الكلمات ايام أُسري بي»[1].

الرابع: الإستغفار وقيام الليل. اي ان يكثر المذنب من الإستغفار وقراءة ادعية التوبة الواردة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام. وخاصة ادعية

(١) اقبال الأعمال: ٦١٤، طبعة مؤسسة الأعلمي.

الصحيفة السجادية وعلى الأخص منها الدعاء الحادي والثلاثين وهـو بشأن التوبة. وكذلك المناجاة الخمسة عشر وعلى الأخـص مـنها المـناجاة الأُولى وهي مناجاة التائبين، ويجب حين القراءة التدبّر في معانيها، وان يطابق فـعله قوله.

الخامس: تكرار التوبة والإستغفار، كما قال الصادق عليه السلام:

«كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يستغفر الله عز وجل في كلّ يوم سبعين مرّة ويتوب إلى الله عزوجل سبعين مرّة من غير ذنب. وكان لا يقوم من مجلس حتّى يستغفر الله عز وجل خمساً وعشرين مرّة». وقال أيضاً:

«إذا اكثر العبد من الإستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ»[1].

قال الإمام الرضا عليه السلام:

«مثل الإستغفار مثل ورق على شجرة تحرّك فيتناثر والمستغفر مـن ذنب ويفعله كالمستهزىء بربّه»[2].

السادس: اخـتيار وقت السـحر للاسـتغفار. ومـع ان الدعـاء والتـوبة مستحبان في كلّ وقت، إلّا ان لوقت السحر وهو الثلث الأخير من الليل حتّى طلوع الفجر تأثير خاص في تطهير النفس من المعاصي. وهذا ما أكـد عـليه القرآن الكريم في عدّة مواضع واثنى على المستغفرين بالاسحار، وعـدّ هـذه الخصلة من صفات المتقين وأهل الجنّة.

جاء في وصايا لقمان لابنه انّه قال له: «يا بني لا يكون الديك اكيس منك يقوم في وقت السحر ويستغفر وانت نائم»[3].

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٥٠٤.
(٢) اصول الكافي: ج٢، ص٥٠٤.
(٣) ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٤٩.

نعم، ايها الإنسان العزيز استبق الآخرين في النهوض وقت السحر وافتح عينيك قبل النرجس والياسمين، وارفع صوتك قبل ديك السحر بنداء «اذكر الله ولا تكن من الغافلين».

ليس انساناً من ينهض عند السحر على صوت الديك، بل الإنسان من يسبق الديك في النهوض والتسبيح باسم السبوح القدوس.

نعم، يا ولدي ويا عزيزي، لا يكون الديك اعقل منك في النهوض المبكر عند الأسحار وفي اوقات الصلاة. الّا تراه يعلن دخول وقت الصلاة عند حلول وقتها، ويرفع صوته في الأسحار وانت نائم.

اجاد الشاعر في قوله:

فيا نفس خاف الله واجتهدي له
فقد فاتت الأيام واقترب الوعد
فخير ممات قتلة في سبيله
وخير المعاش الخوف منه أو الزهد
تشاغلت عما ليس لي منه حيلة
ولابد مما ليس منه لنا بد[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص١٢٩.

١ ـ توبة شاب فاسق

جاء في كتاب «كيفركردار أو قانون مجازات» ان رابعة العدوية قالت: كان هنالك شاب في غاية الجمال، وقد استدرجه اصدقاء السوء إلى مهاوي الفحشاء والرذيلة حتّى صار في عداد الفسقة والأشقياء واصبح همّه مطاردة النساء واغواء الفتيات حتّى بلغ أذاه جميع الناس.

ذهبت لزيارته يوماً فوجدته قد افترش سجادته وانشغل بالصلاة وهو في غاية الخشوع والخضوع ويكثر من البكاء، تعجبت من وضعه وقلت في نفسي: ما لهذا الفاسق العاصي وهذه العبادة والخشوع والتقوى، وكيف صار عتبة بن علام إلى هذا الحال ؟!

انتظرت حتّى انتهى من صلاته ثم قلت له: هذا انت يا ابن علام؟ انت الذي كنت غارقاً في الشهوة والشراب والمعاصي، كيف اعرضت عن كلّ ذلك وتوجهت إلى الله، وكيف تبت مما كنت فيه من المعاصي ؟

قال: انت تعلمين انني كنت في شبابي كثير المعاصي ومولعاً بالنساء، وكما تعلمين ان اكثر من الف امرأة في البصرة كن واقعات في شباك غرامي، وانني كنت مسرفاً في غروري ذاك وطيش الشباب.

وفي أحد الأيام وقع بصري عندما خرجت من داري على امرأة لا يظهر منها إلّا عيناها اذ كانت مستورة بثيابها. فوسوس لي الشيطان واغراني بها

وصار قلبي وكأن ناراً اضطرمت فيه؛ فسرت وراءها لأكلّمها فاعرضت عني وكلّما دنوت منها تجاهلتني. فاقتربت منها وقلت: ويحك ألا تعرفيني؟ انا عتبة الذي تهواني اكثر نساء البصرة، فمالي اكلّمك فتعرضين؟

قالت: ماذا تريد مني؟ قلت: ضيّفيني.

قالت: ويحك يا رجل كيف عشقتني وتدّعي محبتي وانا ارتدي ثياباً تستر كلّ اعضاء بدني؟

قلت: عشقت منك هاتين العينين الجميلتين.

قالت: صدقت لقد كنت غافلة عنهما حقاً. إذاً لا تكف عني وتعال أقضي حاجتك. ثم انّها سارت فتبعتها إلى ان دخلت دارها فدخلت وراءها ولكن لم اجد في دارها اثاثاً ولا متاعاً. قلت: اليس لك في الدار متاع؟

قالت: نقلنا متاعنا من هذه الدار. قلت: إلى اين؟ قالت: ألم تقرأ في القرآن قوله تعالى:

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[1]؟

لقد نقلنا كلّ ما لدينا إلى الدار الآخرة وهي دار الخلود، أما هذه الدنيا فزائلة. فاخش ربك ايها الرجل وتب من عملك هذا، واياك ان تبيع الجنّة الباقية بالدنيا الفانية والحور بالنساء.

قلت: دعكِ من هذا الكلام واقضي حاجتي.

نصحتني المرأة كثيراً ولكن لم تجد عندي اذناً صاغية. فقالت لي: هل عليَّ ان اقضي حاجتك إذا لم تدع عنك هذا؟ قلت: نعم.

---

(١) سورة القصص: ٨٣.

رأيتها دخلت غرفة اخرى وتركتني لحالي، وشاهدت عجوزاً جالسة في تلك الغرفة. نادت تلك البنت ان ائتوني بماء لأتوضّأ. فجاؤها بالماء وتوضأت ووقفت تصلّي حتّى منتصف الليل. وبقيت افكر مع نفسي اين انا؟ ومن هؤلاء النسوة؟ ولماذا اطالت عليَّ هكذا؟إلى ان سمعت صوتها فجأة تنادي: احضروا لي قطناً وطبقاً. فأخذت لها العجوز ما ارادت.

بعد دقائق سمعت العجوز صرخت وقالت: انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.

وثبت مذعوراً فوجدت ان الفتاة قد قلعت عينيها بالسكّين ووضعتهما على قطن في طبق، ولما جاءتني العجوز بالطبق وجدت العينين لا زالتا تتحركان في الشحمة على القطن.

قالت لي العجوز وهي في غاية الارتياع: هذه ما كنت تعشقها خذها لا بارك الله لك فيها، لقد حيّرتنا حيرك الله. ووضعت الطبق أمامي فذعرت وجف فمي ولم اعد قادراً على الكلام، فما هذا الذي فعلته هذه الفتاة؟

قالت العجوز وهي باكية: كنا عشرة نساء اعتكفنا في هذه الدار لا نبرحها وكانت هذه الفتاة هي التي تشتري لنا ما نحتاج اليه. الّا انّك جلبت علينا الحيرة والألم. أهذا هو مرادك؟ خذ هاتين العينين اللتين عشقتهما.

وما ان سمعت كلام العجوز حتّى اغمي عليَّ ولما استعدت الوعي بقيت تلك الليلة غارقاً في التفكير وندمت على ما سلف من اعمالي وقلت الويل لي لقد كنت اعصي الله طوال عمري ولم اندم على شيء من ذلك، الّا ان هذه الفتاة ادبتني بعملها هذا. فذهبت إلى داري ووقعت في فراش المرض اربعين يوماً. فكان ذلك سبباً لندمي وتوبتي.

قال الشاعر:

ايــهـا الـمــغرور مـا هــذا الصـبا   لو نـــــهيت النـــفس لانـــتهت
أنســـيت الـمــوت جــهلاً والبـلا   وســـلَتْ نــفسك عـــنه ولَـهَت
نـــحن فـــي دار بـــلاءٍ واذىً   وشـــــقاء وعــــناءٍ وعــنت[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٧٣.

٢ ـ توبة نصوح

كان «نصوح» رجلاً امرداً، لا ينبت الشعر في وجهه وله كالنساء ثديان. وكان يعمل حينذاك في احد حمامات النساء ويغسل اجسامهن. وكان على درجة من المهارة في عمله بحيث ان جميع النساء كن يرغبن في ان يتولى نصوح تنظيفهن في الحمام. وشاع صيته في الآفاق حتّى بلغ مسامع بنت الملك في ذلك الزمن فمالت نفسها إلى رؤيته؛ فارسلت اليه واحضر بين يديها ولما رأته أعجبها وأبقته عندها تلك الليلة. وفي الصباح أمرت بإخلاء الحمام ومنعت الناس من دخوله، ثم اخذت نصوح معها وامرته بتنظيف بدنها.

شاءت الأقدار ان تفقد بنت الملك جوهرة ثمينة، فغضبت وامرت اثنين من حاشيتها بتفتيش جميع العاملين هناك للعثور على الجوهرة.

راح الموكّلون يفتشون العاملين الواحد تلو الآخر إلى ان وصل الدور إلى نصوح فخاف إذا فتّشوه ان يفتضح حاله؛ ولهذا ابى ان يخضع للتفتيش. واخذ يهرب منهم هنا وهناك ويتظاهر بأنَّ الجوهرة عنده، مما جعل الموكّلين يجدون اكثر في طلبه.

لم يجد نصوح أمامه من طريق للخلاص سوى الدخول في خزان الماء، ولما رآهم دخلوا الخزان للقبض عليه وانّه شارف على الفضيحة اتّجه إلى ربه من اعماق قلبه وتاب من سيئاته بكلّ اخلاص ومدَّ يد الحاجة إلى ربّه داعياً

اياه لانقاذه من هذه الفضيحة .

وما ان تاب نصوح واستغفر ربه وندم على معاصيه حتى جاء صوت من خارج الحمام ينادي كفّوا عن هذه المسكينة فقد وجدت الجوهرة . فكفوا عنه ، وشكر نصوح ربّه ، واستأذن من الأميرة وذهب إلى داره ، وقسم على الفقراء كلّ مال حصل عليه من الحرام . ولما كان اهالي ذلك البلد يرغبون في عمله ولا يكفون عنه ، لم يكن قادراً على البقاء فيه . وهو من جانب آخر لم يكن قادراً على البوح بسره لأحد . فاضطر لمغادرة المدينة والعيش في جبل يبعد عنها عدّة فراسخ ، واستغرق هناك بالعبادة .

وفي احدى الليالي رأى في المنام شخصاً يقول له : يا نصوح كيف تبت وهذا لحم بدنك قد نبت من الحرام؟ ! يجب ان تذيب هذا اللحم .

وما ان افاق حتى قرر حمل الصخور الثقيلة ليذيب لحم بدنه . داوم نصوح على عمله ذاك حتى وقع بصره يوماً على نعجة كانت ترعى في ذلك الجبل ، ففكر في امرها من اين جاءت ومن عسى ان يكون صاحبها؟ واستقر رأيه في آخر المطاف على انها لابد وان تكون قد هربت من راعيها ولابد من الإحتفاظ بها إلى ان يأتي ويأخذها . فامسكها واحتفظ بها عنده وكان يطعمها من النباتات التي يأكل هو منها .

مضت على هذا الحال عدّة ايام فانطق الله النعجة وقالت : يا نصوح اشكر ربّك الذي خلقني لك فصار نصوح من ذلك الوقت يشرب من حليبها . وهو إلى جانب هذا يكثر من عبادة ربّه . إلى ان صادف وان مرّت من هناك قافلة ضلّت طريقها والناس فيها قد شارفوا على الهلاك من شدّة العطش . فرأوا نصوح وطلبوا منه الماء . فقال لهم : اعطوني اوانيكم لاعطيكم بدل الماء حليباً فجاؤوه بالاواني وقدم لهم فيها حليباً فشربوا منها جميعا . وهكذا انقذ نصوح القافلة من

الهلاك ، ودلهم بعدها على الطريق إلى المدينة .

وقبل السير إلى المدينة قدّم كلّ واحد من افراد القافلة مبلغاً من المال لنصوح ازاء ما قدمه لهم من خدمة . وبما ان الطريق الذي دلهم عليه كان اقرب إلى المدينة ، لذلك جعلوا طريقهم الدائمي من هناك ، ثم علمت سائر القوافل بذلك الطريق فتركت الطريق القديم واخذت تسلك هذا الطريق . وكان مرور القوافل من هناك سبباً في حصول نصوح على مال وفير صار يبني به الأبنية ويحفر الآبار ويصلح الاراضي ويعدّها للزراعة وسكن فيها قوم واستطاع ان يبسط بينهم العدالة وتولى هو زمام امورهم . وكان الجميع ينظرون اليه هناك نظرة اجلال واكبار .

اشتهر اسم نصوح تدريجياً وشاع بين الناس حسن تدبيره حتى بلغ اسماع الملك وهو والد تلك الأميرة . فصار الملك يتشوق إلى رؤيته فأمر بدعوته إلى البلاط ، لكن نصوح رفض تلبية دعوة الملك وقال : لا شأن لي بالدنيا واهل الدنيا . واعتذر عن الذهاب إلى بلاط الملك . ولما بلغ الملك مقالة نصوح تعجب وقال : ان كان قد اعتذر عن المجيء الينا فما أولانا بالمسير اليه ومشاهدة قلعته الجديدة عن قرب ، وسار مع خاصّته إلى الموضع الذي يعيش فيه نصوح .

وما ان وصلوا إلى هناك حتّى جاء أمر الله بقبض روح الملك .

ولما بلغ نصوح الخبر وعلم ان الملك كان قد خرج من مدينته للقائه وتوفي في الطريق ، حضر للمشاركة في تشييعه ودفنه . وهذا الملك لم يكن له ابن يرث حكمه وهذا ما دفع اركان الدولة إلى التفكير في انتخاب نصوح ملكاً ، وهذا ما حصل فعلاً واصبح نصوح ملكاً عليهم .

بعدما اصبح نصوح ملكاً بسط العدل في جميع ارجاء بلاده ، وتزوج بنت

الملك وهي الأميرة التي سبق الحديث عنها. وفي ليلة زفافه دخل عليه رجل وقال: كنت قبل سنوات راعياً وفي احد الأيام فقدت نعجة، ووجدتها الآن عندك. هيا رد اليَّ مالي.

قال نصوح: كما تحب سآمرهم الآن ان يعطوك نعجة. فقال له الرجل: بما انك حفظت لي النعجة فان ما شربته من حليبها حلال لك، لكن القسم الذي جنيت من ورائه منافع يكون مناصفة بيني وبينك.

امر نصوح باعطائه نصف امواله وممتلكاته، وامر الكتاب بتقسيم البلد بينهما مناصفة فقال له الراعي: يا نصوح بقي شيء لم نقسمه. فقال له نصوح: وما هو؟!

قال: هذه الفتاة التي تريد الزواج بها، لأنها جاءتك من نفع نعجتي. قال نصوح: ان تقسيم الفتاة يعني موتها، فهب نصفها لي. فرفض الراعي.

قال له نصوح: اهب لك نصف ملكي، وهب لي الفتاة. فرفض الراعي أيضاً. فقال له نصوح: اهب لك كلّ ملكي، وانصرف عن هذا الرأي. فلم يوافق الراعي. فاضطر نصوح إلى استدعاء السياف وامره بتقسيم الفتاة إلى نصفين، فاستل السياف سيفه واراد ان يضربها على رأسها، فجزعت وخرّت مغشياً عليها.

عندها امسك الراعي يد السياف وقال لنصوح: اعلم انني لست راع، ولا تلك نعجة. بل كلانا ملكين ارسلنا الله لاختبارك. وبغتة غابا كلاهما عن الأنظار.

شكر نصوح ربّه، واستمر من بعد زواجه يعبد الله ويحكم البلد بالعدل. وقال البعض ان الآية الشريفة ﴿**توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾[1]. إنما تشير إلى

---

(١) سورة التحريم: ٨.

مثل هذا الشخص.

نستنتج من هذه القصة ان من يتوب، يصلح له الله امر دنـياه وآخـرته، ويستجيب دعاءه، ويكتب له العزّة والكرامـة عـند النـاس وعـند المـلائكة، ويجزيه افضل جزاء الدنيا والآخرة.

قال الشاعر:

تـــبارك ربـــي لا يـــزال ولم يـــزل
عـــظيم العـطايا رازقـاً دائـم السـبب
لهـجت بـدار المـوت مسـتحسناً لهـا
وحســـبي له دار المـــنية مـن عـيب
لعمرك ما عين مـن المـوت فـي عمىً
وما عقل ذي عقل من البعث في ريب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٥٤.

٣ ـ التطاول على اعراض الناس

كان من المتعارف في زمن الرسول صلّى الله عليه وآله انهم حينما يريدون الخروج إلى الجهاد يعقدون بين كلّ رجلين عقد اخوّة لكي يهتم احدهما بعد ذهاب الآخر إلى الجهاد بشؤون عائلته وداره.

وفي غزوة تبوك عقد رسول الله صلّى الله عليه وآله عقد اخوّة بين سعيد ابن عبدالرحمن وثعلبة الأنصاري؛ وسار سعيد إلى الجهاد بصحبة الرسول وبقي ثعلبة في المدينة لقضاء حاجات عائلته؛ فكان يأتي كلّ يوم ويجلب لهم الماء والحطب وما شابه ذلك.

وفي أحد الأيام كلمته زوجة سعيد من وراء حجاب عن بعض متطلبات البيت، فوسوست له نفسه بالنظر اليها ورؤيتها فأزاح الحجاب ونظر اليها فرآها جميلة وقد علت محياها أمارات الخجل والحياء.

فغلبه هواه وسولت له نفسه بالدنو منها ليضمّها اليه ولكنها صرخت به:
ويحك يا ثعلبة، زوجي يجاهد مع رسول الله وانت هنا تتطاول على عرضه؟!

فنزل هذا الكلام كالصاعقة على رأس ثعلبة، فهرب صوب الصحاري والجبال، وصار يبكي وينوح ويولول هناك ليلاً ونهاراً ويقول الهي انت معروف بالمغفرة وانا موصوف بالذنب.

وبقي على هذا الحال مدّة طويلة وهو يستغفر ربّه إلى ان عاد الرسول من الجهاد. ولما وصل سعيد إلى داره سأل أول ما سأل عن ثعلبة. فقصت عليه

زوجته القصة، وقالت انّه لازال في البراري يبكي وينوح.

خرج سعيد من داره ليبحث عن ثعلبة إلى ان وجده اخيراً جالساً خلف صخرة ويده على رأسه وينادي: واندمتاه، واخجلتاه، وافضيحتاه يوم القيامة فدنا منه سعيد وقال: انهض يا اخي لنذهب إلى رسول الله لعله يجد لك من هذا الموقف مخرجاً.

فقال ثعلبة: ان كان لابد من الذهاب إلى الرسول فاربط يديَّ ورقبتي وخذني اليه كالعبد الآبق. فاضطر سعيد إلى ربط يديه ورقبته بالحبل وسار به إلى المدينة. وكانت لثعلبة بنت تدعى حمصانة لما سمعت بقدوم ابيها ركضت اليه ولما رأته على هذا الحال ترقرقت الدموع في عينيها وقالت: ما هذا الذي اراك فيه يا أبة؟!

قال لها: يا بنيّتي هذا حال المذنبين في الدنيا، فما بالك بهم في الآخرة.

ومرّوا على باب احد الصحابة فخرج من داره ولماعلم بالخبر طرد ثعلبة وقال: اذهب فاني اخشى ان احترق بنار معصيتك.

وكان كلّ من يلقاه يطرده خشية ان يُصاب بعذاب معصيته، إلى ان جاء إلى امير المؤمنين عليه السلام، فقال له: ويحك يا ثعلبة الا تعلم ان رأفة الله بمن جاهد في سبيله اكثر من غيره؟ وهذا العمل ليس له الاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله.

جاء ثعلبة على هذا الحال ووقف على باب دار الرسول صلّى الله عليه وآله وصاح: «المذنب المذنب»، فاذن الرسول بدخوله، وسأله: ما هذا يا ثعلبة؟ فقصَّ عليه ثعلبةالقصة، فقال له الرسول:

لقد أتيت امراً عظيماً، فاذهب واستغفر ربك وادعوه لنرى بماذا يأمر.

خرج ثعلبة من دار الرسول واتجه الى الصحراء، فجاءته ابنته وقالت: يا أبتي لقد رق لك قلبي وكنت ارغب في المسير معك اينما ذهبت، ولكن بما ان

الرسول قد طردك فاني لا ارغب في اللحاق بك.

هام ثعلبة في الصحراء يبكي ويتمرغ على الرمضاء وينادي: الهي لقد طردني الجميع، يا مؤنس من لا أنيس له! ان لم تأخذ بيدي فمن ذا الذي يأخذ بيدي؟ وان لم تقبل عذري فمن ذا الذي يقبل عذري؟

ومرت به أيام وهو على هذا الحال من البكاء والنياح، وقضى الليالي وهو يتضرع إلى ربه. وفي ختام المطاف نزل الوحي على رسول الله عند صلاة العصر وقرأ عليه الآية الشريفة:

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الّا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾(١).

وقال الأمين جبرائيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله: ان الله يأمرك ان تستغفر لثعلبة.

ارسل رسول الله علياً عليه السلام، وسلمان رضوان الله عليه للبحث عن ثعلبة. وفي الطريق لقيا راعياً فسألاه عنه فقال: في الليل يأتي رجل ويبكي تحت هذه الشجرة. فانتظراه إلى الليل فجاء ثعلبة وبدأ بالدعاء والإستغفار قائلاً: إلهي لا ملاذ لي غيرك، فان طردتني فبمن اعوذ ولمن التجيء؟

فبكى اميرالمؤمنين ودنا منه وقال: ابشر يا ثعلبة ان الله قد غفر لك، وان رسول الله يدعوك، وقرأ عليه الآية الشريفة التي نزلت في توبته فنهض ثعلبة وسار برفقته إلى رسول الله ودخلوا عليه المسجد فوجدوه يصلي وصلّوا خلفه، وقرأ الرسول في الصلاة بعد سورة الحمد سورة التكاثر.

وما إن قرأ الآية الاولى **﴿الهاكم التكاثر﴾** حتى صرخ ثعلبة، ولما قرأ الآية الثانية **﴿حتى زرتم المقابر﴾** صرخ مرة اخرى. ولما قرأ الآية الثالثة: **﴿كلا سوف تعلمون﴾** صرخ وخر على الأرض. وبعد ان فرغوا من الصلاة امر

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

الرسول فنضحوا الماء على وجهه، لكنه لم يفق وظل مطروحاً عـلى الأرض كالخشبة اليابسة، وادركوا ان ثعلبة قد اسلم روحه لله.

تألم الرسول والصحابة لهذه الحادثة وبكوا. وسـمعت حـمصانة بـنته بالخبر فجاءت إلى المسجد باكية مولولة وقالت: يا رسول الله انك لما طردت ابي أعرضتُ عنه وجعلت لقاءه رهناً برضاك عنه. واني الآن مسرورة لما غفر من ذنوبه وانّه مات وانت عنه راضٍ.

عزّاها الرسول بوفاة والدها وشارك في تكفينه وتشبيعه ودفنه.

قال الشاعر:

يـــا ذا الذي اتّــخذ الزمـــان مــطيةً
وخــطى الزمـــان كـــثيرة العــثرات
مـــاذا تـــقول وليس عـــندك حـــجة
لو قـــــد أتـــــاك مـــهدّم اللـــذات
او مـــا تـــقول إذا سئلت فـلم تـجب
وإذا دعـــيت وأنت فـــي الغـمرات[1]

وقال الشاعر:

مـــا ان دعـــاني الهـــوى لفـــاحشة
الا نــــــهاني الحـــــياء والكـــــرم
ولا إلى مـــــحرم مـــــددت يـــدي
ولا مشت بـــــي لريـــــبة قـــــدم[2].

(١) ديوان أبي العتاهية ص٧٦.

(٢) سنابل الحكمة ص ٢٠٠.

٤ ـ عشرون سنة من المعصية

كان في بني اسرائيل شاب عَبدالله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة. ثم نظر في المرآة فرآى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال:

إلهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول:

«احببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، وان رجعت قبلناك».

ثم انّه تاب وصار في جملة العباد. وهذه الرحمة الإلهية تسع جميع العاصين.

قال الشاعر:

الآ لله انت فتىً وكهلاً ... تلوح على مفارقك الذنوب
هو الموت الذي لابد منه ... فلا يلعب بك الأمل الكذوب
وكيف تريد ان تدعى حكيماً ... وأنت لكلّ ما تهوى ركوب
وتصبح ضاحكاً ظهراً لبطنٍ ... وتذكر ما اجترحت فلا تذوب[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٣٥.

٥ ـ توبة رجل من بني اسرائيل

انقطع الغيث عن بني اسرائيل في زمن موسى «على نـبيّنا وآله وعـليه السلام»، فجاءوا إلى موسى يتشاكون الفاقة والحاجة، وقالوا له ادعُ لنا ربّك لينقذنا من هذه الهلكة. فخرج موسى فيهم إلى الصـحراء وصـلى بـهم صـلاة الإستسقاء ودعوا ربّهم لينزل عليهم المطر. الّا ان المطر لم ينزل مع كـثرتهم اذ كان عددهم سبعين الفاً، ومع الحاحهم بالدّعاء.

فرفع موسى رأسه إلى السماء وقال: اللهم اني ادعوك ومعي سبعون ألفاً فلا تستجيب لنا، فهل نقصت منزلتي عندك؟! فاوحى الله تعالى اليه: ان بينكم رجلاً عصى الله اربعين سنة، فقل له ان يخرج من بـينكم حـتّى انـزل عـليكم المطر.

فقال موسى: يا ربي ان صوتي ضعيف فكيف اسمعه سبعين الف رجل؟ فاوحي اليه انك إن قلت نحن نوصل صوتك اليـهم. فـصاح مـوسى بـصوت جهوري: من عصا الله اربعين سنة فليقم وليخرج من بيننا؛ لأن الله قـطع عـنا الغيث بسببه.

نهض ذلك العاصي وتلفت يميناً وشمالاً فلم يجد ان احـداً قـد خـرج، فادرك انّه هو المقصود. فقال في نفسه: ماذا اصنع؛ إذا قـمت ورآنـي النـاس

عرفوني وفضحت بينهم، وإذا انا بقيت لا ينزل عليهم الغيث. فجلس مكانه وندم من اعماق قلبه على قبائحه ومعاصيه، وتاب إلى ربّه.

ظهرت الغيوم على الفور وتراكمت ونزل عليهم الغيث، وسقوا بأجمعهم. فقال موسى: يا رب لم يخرج من بيننا احد، فكيف سقيتنا؟ فنودي: «سقيتكم بالذي منعتكم به». فقال موسى: يا رب هل تريني هذا العاصي؟ فقال له ربّه: لم أفضحه عندما كان عاصياً، هل افضحه الآن بعد ما تاب؟ يا موسى اني عدو النمامين، أفهل أنم، وانا ستار العيوب، فهل اهتك ستر عبادي؟

قال الشاعر:

ان تجد لي بالعفو لم أخش ذنباً أو تهب لي زاداً أمنت العناء

أو تبيض بالعفو وجهي فانني لست أخشى صحيفة سوداء[1]

(١) رباعيات الخيام ص٧.

٦ ـ عهد مع الله

عاهد شاب ربّه ان لا يتعلق قلبه بشيء من حطام الدنيا، وان لا ينظر إلى زخارفها لأنها تنسيه ذكر الله.

وفي احد الأيام مر في السوق على دكان لبيع المجوهرات فرأى فيه حزاماً مرصعاً بابهى الدرر واغلى الأحجار الكريمة، فنسي عهده مع ربّه، وظل يتأمله مليّاً وقلبه لا يمل النظر اليه. وما ان جاوز هذا الشاب دكان الجواهري حتى افتقد الجواهري الحزام، فخرج من دكانه على الفور وتعلق بالفتى وقال: يا سارق انت سرقت الحزام، واني غير تاركك الّا ان تعيده اليَّ. واقتاده إلى الحاكم، قائلاً: ايها الحاكم هذا الفتى سارق؛ سرق مني حزاماً مرصعاً بالجواهر.

تأمل الحاكم الشاب ملياً وقال: لا يبدو لي انّه سارق، فسيماه غير دالة على انّه من اصحاب هذه الفعال.

الّا ان صاحب الحزام اصر على قوله وشرح له القصة. فأمر الحاكم بتفتيشه، ووجدوا الحزام تحت ثيابه. تعجب الحاكم، وقال غاضباً: يا فتى أما تستحي تلبس لباس الأخيار وتعمل عمل الفجار؟ ذعر الفتى وقال: اصبر علي يا مولاي حتّى اقص عليك حقيقة امري. ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: يا إلهي لا اعود لمثلها، لقد نسيت ذكرك ووقعت في المعصية، واني في غاية الندم

فاقبل توبتي ولا تفضحني.

ظن القاضي ان الفتى انما اعترف بالسرقة فغضب وامر به ليجردوه من ثيابه ويضربونه بالسوط.

وفجأة سمعوا صوتاً ولم يروا قائله: «دعوه ولا تضربوه انما اردنا تأديبه».

تغيّر القاضي وندم على فعله واعتذر من الفتى وطلب منه ان يقص عليه امره. فاخبره الفتى بعهده مع ربّه وكيف انّه نقض العهد فوقع على أثر ذلك في تلك الورطة.

ولما سمع صاحب الحزام بالقصّة ندم على فعله أيضاً واقسم عليه ان يأخذ الحزام ويقيله خطأه. فقال له الفتى: هذا لا يكون ابداً فانّي قد اوقعت نفسي في هذه الورطة ونلت جزائي عليها.

قال الشاعر:

لا تنظرّنّ إلى الفتى وفنونه وأنظر لحفظ عهوده ووفائه
فاذا رأيت المرء قام بعهده فأحسبه فاق الكلّ في عليائه[1]

(١) رباعيات الخيام ص١٢.

٧ ـ بهلول النبّاش

دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلّى الله عليه وآله باكياً، فسلّم فرد عليه السلام ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال: يا رسول الله ان بالباب شاباً طري الجسد، نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: ادخل عليَّ الشاب يا معاذ. فادخله عليه فسلم فرد عليه السلام، ثم قال: ما يبكيك يا شاب ؟ قال: وكيف لا ابكي وقد ركبت ذنوباً ان اخذني الله عزوجل ببعضها ادخلني نار جهنم؟ ولا أراني الّا سيأخذني بها ولا يغفر لي ابداً.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هل اشركت بالله شيئاً ؟ قال: اعوذ بالله ان اشرك بربّي شيئاً. قال: اقتلت النفس التي حرم الله ؟ قال: لا. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: يغفر الله ذنوبك وان كانت مثل الجبال الرواسي. فقال الشاب: فانها أعظم من الجبال الرواسي. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك وان كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق. قال: فانها اعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق.

فقال النبي صلّى الله عليه وآله: يغفر الله ذنوبك وان كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي. قال: فانّها اعظم من ذلك. قال: فنظر اليه النبي صلّى الله عليه وآله كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك يا شاب، ذنوبك اعظم

أم ربّك؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان ربي ما شيء اعظم من ربّي. ربي اعظم يا نبي الله من كلّ عظيم. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: فهل يغفر الذنب العظيم الّا الرب العظيم؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله. ثم سكت الشاب، فقال له النبي: ويحك يا شاب، الّا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى اخبرك؛ اني كنت أنبش القبور سبع سنين، اخرج الأموات، وانزع الأكفان؛ فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنه اهلها وجنَّ عليهم الليل أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من اكفانها وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت منصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبل يُزينها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضها، أما ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت اليها ولم املك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها. فاذا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويلك من ديان يوم الدين، يوم يقفني واياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي وسلبتني اكفاني، وتركتني اقوم جنبة إلى حسابي، فويل لشبابك من النار! فما اظن اني اشم ريح الجنّة ابداً فما ترى يا رسول الله؟ فقال النبي صلّى الله عليه وآله: تنحّ عني يا فاسق، اني اخاف ان احترق بنارك، فما اقربك من النار!

ثم لم يزل عليه السلام يشير اليه ويقول حتى امعن من بين يديه. فذهب فأتى المدينة فتزود منها، ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها ولبس مسحاً وغلَّ يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى: يا رب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يا رب أنت الذي تعرفني، وزل مني ما تعلم يا سيّدي! يا رب اصبحت من النادمين ولم يزل على هذا الحال يدعو ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم ان كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي، فأوح إلى نبيّك، وان لم تستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي، وازددت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني عقوبة في الدنيا تهلكني،

وخلصني من فضيحة يوم القيامة. فانزل الله تبارك وتعالى على نبيّه: ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الّا الله...**﴾(١).

خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال لاصحابه: من يدلّني على ذلك الشاب. فقال معاذ: بلغنا يا رسول الله انّه في موضع كذا وكذا. فمضى رسول الله باصحابه حتى انتهوا اليه، فاذا هم به يبكي وقد اسود وجهه وتساقطت اشفار عينيه. فدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطلق يديه من عنقه، وقال: يا بهلول ابشر فانّك عتيق الله من النار.

ثم قال لاصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول.

ينسب الى الامام علي عليه السلام انه قال:

قريح القلب مـن وجـع الذنـوب   نحيل الجسـم يشـهق بـالنحيب
أحـــزّ بـــجسمه ســـهر الـلـيالي   فـــصار الجسـم مـنه كـالقضيب
وغـــير لونـــه خـــوف شـــديد   لمـا يـلقاه مـن طـول الكـروب
يـــنادي بـــالتضرع يـــا الهـــي   اقلني عـثرتي واسـتر عـيوبي(٢)

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام، ص٢٩.

٨ ـ توبة الحداد

نقل عن حسن البصري انّه قال: مررت في سوق الحدادين ببغداد فوقع بصري على حداد يمد يده في الكورة ويمسك الحديد الأحمر الذائب بدون ان يشعر بحرارته ويضعه على السندان ويطرقه بالمطرقة، ويخرجه بأي شكل يشاء. وعند مشاهدتي لهذا الأمر العجيب وجدت في نفسي رغبة لسؤاله، فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد عليَّ السلام، فسألته: ايها السيّد الّا تؤذيك نار الكورة ،حر الحديد المذاب؟

قال: لا. قلت: وكيف؟

قال: مرت علينا هنا ايام من القحط والجوع. أما انا فكنت قد خزنت كلّ شيء. وجاءتني ذات يوم امرأة وجيهة الطلعة حسنة الصورة وقالت: يا رجل ان لي ايتاماً صغاراً يتضورون جوعاً وهم بحاجة إلى قليل من الطعام، واطلب منك ان تهبني شيئاً من الحنطة في سبيل الله ولانقاذ حياة هولاء الصبية. وبما انني فتنت بجمالها من خلال نظرة واحدة، قلت لها: إذا كنت تريدين الحنطة فيجب ان اقضي منك حاجتي.

غضبت المرأة لهذا الكلام واعرضت عني وذهبت.

وفي اليوم التالي عادت اليَّ باكية وكررت ما طلبته في اليوم الأول، فأعدت عليها ما كنت قد طلبته منها. فعادت ادراجها صفر اليدين. وجاءتني

في اليوم الثالث وهي غاية الأسى وقالت: ان أطفالي على وشك الموت فارجو ان تنقذهم من الجوع والموت. فكررت عليها طلبي. ويبدو ان الجوع قد انهكها فلم تعد لها قدرة على المقاومة.

وعلى كلّ فانّها حين اقتربت مني كانت تقول: ارحمني ايها الرجل انا وأطفالي فنحن جياع وبحاجة إلى قليل من الطعام. فقلت لها: ايتها المرأة لا تضيّعي وقتي سدىً، تعالي اقضي منك حاجتي واعطيك الحنطة.

وعندها اكثرت من البكاء وقالت: انني لم ارتكب قط هذا العمل الحرام، ولكني مضطرة الآن لتلبية طلبك لانني وأطفالي ما ذقنا الطعام منذ ثلاثة ايام، ولكن لي عليك شرط. فقلت: وما هو شرطك؟ قالت: ان تأخذني إلى مكان لا يرانا فيه احد.

يقول الحداد: فوافقت على طلبها واخليت لها الدار. وما ان دنوت لاقضي حاجتي منها رأيتها تضطرب، وقالت: لم كذبت عليَّ ولم تفي لي بالشرط. قلت: واي شرط هذا؟ قالت: ألم تعاهدني على أن تأخذني إلى مكان لا يرانا فيه احد؟ قلت: نعم، أليس هذا المكان خالٍ؟ قالت: وكيف هو خالٍ وفيه خمسة يشهدوننا وهم الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والملكان الموكّلان بك، والملكان الموكّلان بي. هؤلاء كلّهم حاضرون ويشاهدون عملنا، ومع هذا أراك واهم ان لا أحد يرانا هنا. خف ربّك يا رجل، واصرف شهوتك عنّي، يصرف عنك حرّ النّار.

تنبّهت من كلامها هذا، وفكرت مع نفسي وقلت: ان هذهالمرأة مع ما بها من جوع وضيق تخاف ربّها إلى هذه الدرجة، وانا لا اخشى الله مع كلّ هذه النعم التي منَّ بها عليَّ؟

تبت إلى ربي من ساعتي تلك، وتركت المرأة واعطيتها ما ارادت واذنت

لها بالإنصراف. ولما رأت هذا الموقف منّي رفعت طرفها إلى السماء وقــالت: اللهم كما صرف هذا الرجل شهوته عني، اصـرف عـنه حـر النـار فـي الدنـيا والآخرة.

ومنذ تلك اللحظة التي دعت لي المرأة فيها بهذا الدعاء صرت لا اشـعر بحر النار.

قال الشاعر:

يــا ايّــها المـرء المـضيع ديـنه   احراز ديـنك خـير شـيء تـصنع
والله ارحـــم بـــالفتى مـن نـفسه   فاعمل فما كلفت مـا لم تسـتطع
والحق أفضل ما قـصدت سـبيله   والله أكـــــرم مــــن تــــزور
فامد لنفسك صـالحاً تـجزى بـه   وانـظر لنـفسك أي أمـر تـتبع(١)

(١) ديوان ابي العتاهية، ٢٥٣.

٩ ـ الشاب العاصي

نقل نجيب الدين، وكان من اكابر علماء عصره، يقول: كنت ذات ليلة في مقبرة، فرأيت اربعة اشخاص قادمين يحملون جنازة. فتقدمت اليهم وانكرت عليهم جلب الجنازة في هذا الوقت من الليل، وقلت: يبدو لي من فعلكم انكم قتلتم انساناً وتريدون دفنه في منتصف الليل لكي لا يطلع أحد على اسراركم.

قالوا: لا تُسيء الظن يا رجل، لأن ام الفتى معنا. فتقدمت اليَّ عجوز كانت معهم، سألتها: لماذا جئت بابنك إلى المقبرة في منتصف الليل؟

قالت: كان ابني فاعلاً للمعاصي، وقبل ان يموت اوصى بعدّة وصايا، منها: اذا مت ضعي في رقبتي حبلاً، واسحبيني إلى الدار وقولي: هذا عبدك العاصي الهارب وقع في قبضة الموت وقد احكمت وثاقه وجئتك به، فارحمه.

واوصى اذا مات ان ادفنه ليلاً لكي لا يرى جنازته أحد ويتذكر معاصيه فيتعذّب. وثالثاً ان تدفنيني بنفسك وتضعيني في لحدي لعل الله اذا راى شيبك يرأف بي ويغفر لي. صحيح اني تبت وندمت على افعالي ولكن عليك تنفيذ هذه الوصايا.

ولما مات وضعت حبلاً في رقبته وسحبته، وبغتة سمعت هاتفاً يقول: ﴿ألا ان أولياء الله هم الفائزون﴾. لا تفعلي هذا بعبدي العاصي فانا نعلم ما نصنع به.

فرحت لقبول توبته وجئت به إلى المقبرة. طلبت منها ان تسمح لي بدفنه،

فوافقت، وما ان وضعته في قبره ولحدته حتى سمعت منادياً يقول: ﴿ألا انّ أولياء الله هم الفائزون﴾ . ففهمت ان توبة العاصي تقبل وان الله لا يرضى اهانة العاصي التائب.

قال الشاعر:

أفنيت عمرك باغترارك ومناك فيه وانتضارك
ونسيت ما لابد منه وكان اولى بأذكّارك
وان اعتبرت بما ترى فكفاك علماً باعتبارك
لك ساعة تأتيك من ساعات ليلك أو نهارك
بادر بحدك قبل أن تقضى وتنزعج من قرارك[1]

(١) ديوان أبي العتاهية.

١٠ ـ توبة العابد

روي انه كان في جبل لبنان رجل من العبّاد منزويا عن الناس في غار في ذلك الجبل، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه ويتسحّر بالنصف الآخر. وكان على ذلك الحال مدّة طويلة لا ينزل من ذلك الجبل أصلاً، فاتفق ان انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي فاشتد جوعه وقل هجوعه، فصلى العشائين وبات في تلك الليلة في انتظار شيء يدفع به الجوع فلم يتيسّر له شيء.

وكان في اسفل ذلك الجبل قرية سكّانها نصارى. فعندما اصبح العابد نزل اليهم واستطعم شيخاً منهم فاعطاه رغيفين من خبز الشعير فأخذهما وتوجّه إلى الجبل وكان في دار ذلك الشيخ كلب أجرب مهزول، فلحق العابد ونبح عليه وتعلق باذياله فألقى عليه العابد رغيفاً من ذينك الرغيفين ليشتغل به عنه. فأكل الكلب ذلك الرغيف ولحق العابد مرّة اخرى واخذ في النباح والهرير، فألقى اليه العابد الرغيف الآخر فاكله ولحقه تارة ثالثة، واشتد هريره وتشبّث بذيل العابد ومزّقه فقال العابد: سبحان الله! اني لم أر كلباً اقل حياءً منك، ان صاحبك لم يعطني إلّا رغيفين وقد اخذتهما منّي. ماذا تطلب بهريرك وتمزق ثيابي؟ فانطق الله تعالى الكلب فقال: لست انا قليل الحياء، اعلم اني ربيت في دار ذلك النصراني احرس غنمه واحفظ داره واقنع بما يدفع اليَّ من خبز او عظام، وربّما

نسيني فأبقى أياماً لا آكل شيئاً، بل ربما تمضي ايام لا يجد هو لنفسه شيئاً ولا لي، ومع ذلك لم افارق داره منذ عرفت نفسي ولا توجهت إلى باب غيره. بل كان دأبي انه ان حصل شيء شكرت وإلّا صبرت. وأما انت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان لك تحمّل حتى توجهت من باب رازق العباد إلى باب نصراني وطويت كشحك عن الحبيب وصالحت عدوّه المريب. فقل اينا اقل حياءً انا أم أنت؟ فلما سمع العابد ذلك ضرب بيديه على رأسه وخر مغشياً عليه.

يُنسب الى الامام علي عليه السلام انّه قال:

الهي لا تعذبني فاني	مقر بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الّا رجائي	بعفوك ان عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في الخطايا	عضضت أناملي وقرعت سني
يظن الناس بي خيراً واني	لشر الخلق ان لم تعف عني[1].

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص١٢٨.

١١ ـ شعوانة

كانت بالبصرة امرأة تسمّى شعوانة مشهورة بالتهتك والرقص والبغاء، وما كان مجلس فساد يقام إلاّ وفيه شعوانة. كانت ذات يوم تسير هي وجواريها في أحد الأزقّة وصادف ان مرّت عند باب دار أحد الزهاد في ذلك العصر، وتناهى إلى سمعها هناك صوت بكاء وعويل من داخل الدار.

ارسلت احدى جواريها لتأتيها بخبر ما يجري، وامرتها ان تعود اليها سريعاً. وقالت مع نفسها: ان في البصرة عزاءً ونحن لا ندري. ودخلت الجارية الدار ولم تعد. فأرسلت وراءها بجارية أخرى، ولكن الثانية لم تعد هي الأُخرى. وارسلت من بعدهما سائر الجواري ولم تعد اليها أية واحدة منهن. غضبت وقالت: ما الخبر؟ارسلت جميع الجواري ولم تعد واحدة منهن. لابد وان هنالك سر في هذه الدار وما هذا العزاء بعزاء اموات، بل عزاء الأحياء، هذا عزاء المذنبين، العاصين، المجرمين، واصحاب الصحائف السود. ثم قررت ان تدخل الدار بنفسها لتطلع على حقيقة الأمر.

دخلت الدار فوجدت رجلاً صالحاً على المنبر وناساًكثيرين حول المنبر يبكون كان الواعظ يفسّر لهم الآية الكريمة: **﴿واذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها**

تغيّظاً وزفيراً﴾[1] وانهم اذا القوا فيها تربط اعناقهم بسلاسل من حديد: ﴿واذا القوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً﴾[2]. فيناديهم مالك: ويحكم سرعان ما تعالت اصواتكم!! لا زلتم في البداية، وهل رأيتم حرّها؟ ان وراءكم عذاباً وآلاماً اكثر فكيف ستفعلون؟

ما ان سمعت شعوانة تفسير هذه الآية حتّى استشعرتها في اعماق قلبها واخذت تبكي ونادت: وهل اذا تاب العبد تُقبل توبته مع كل هذه الذنوب ويجعل له مكاناً عنده في الجنّة؟ قال لها الشيخ: الله ارحم الراحمين توبي يتوب الله عنك وان كانت ذنوبك كذنوب شعوانة.

قالت: يا شيخ، انا شعوانة، تبت إلى الله، ولن اعاود ارتكاب الذنوب. قال لها: ما دمت قد تبت، تاب الله عليك، وغفر لك ذنوبك.

كانت توبة شعوانة صادقة، فانفقت كل ثروة حصلت عليها من هذا العمل، واعتقت كل غلمانها وجواريها، واتخذت لنفسها صومعة في الصحراء وانهمكت بالعبادة والرياضة إلى ان ذاب لحمها.

جاءت ذات يوم إلى الحمام لتغتسل ونظرت إلى بدنها فوجدت نفسها قد صارت ضعيفة وقد لصق جلدها بالعظم فتحسرت وقالت: آه يا شعوانة هكذا صار حالك في الدنيا ولا اعلم ماذا سيكون شأنك غداً في الآخرة.

فجأة سمعت صوتاً ينادي يا شعوانة لا تبعدي عنا والزمي بابنا لنرى ما سيكون عليه شأنك غداً في الآخرة. فكبر شأنها شيئاً فشيئاً حتّى غدت من الأولياء وصاروا يعقدون مجلساً تتحدث هي فيه وتهطل دموعها.

أجل، كل من يتصالح مع ربّه ويهجر الذنوب يبلغ هذه المنزلة.

---

(١) سورة الفرقان: ١٢.

(٢) سورة الفرقان: ١٣.

قال الشاعر:

ومـــن يـتّبع شـهوة بـعد شـهوةٍ مـــلحاً تـــقسم عـقله الشـهوات
ومن يأمن الدنيا وليس بـحلوها ولا مـــــرها فـــيما رأيت ثـــبات
اجابت نفوس داعي الله فـاقضت وأخرى لداعي الموت منتظرات[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٨٧.

١٢ ـ التوبة عن الشراب

قرأت في كتاب الذنوب الكبيرة ، المجلد الثاني ، للمرحوم الشهيد آية الله دستغيب رضوان الله تعالى عليه انه لما نزلت آية تحريم الخمر ، نادى منادي الرسول انه لا يجوز لأحد شرب الخمر ، ويورد في ذلك قصّة لطيفة وهي ان رسول الله صلّى الله عليه وآله كان ماراً في أحد شوارع المدينة فرأى أحد المسلمين وفي يده قارورة فيها خمر ، لما رأى رسول الله قادماً خاف وقال : سيفتضح امري (لأنه كان شديد المحبّة للرسول) ، وقال في نفسه : اللهم اني عصيتك ، واني تائب من ذنبي هذا ، ولن اعاود شرب الخمر ، فلا تفضحني عند رسولك .

ولما دنا من الرسول سأله : ما في هذه القارورة ؟ فقال من شدّة وجله فيها خل . فقال له : ان كان فيها خل ، ضع شيئاً منه في يدي ومد يده المباركة سكب مقداراً منها في يده ، ورأى ان ما سكب في يد الرسول خل حقّاً .

بكى الرجل وقال : كان في هذه القارورة خمراً ، ولكن بما اني تبت إلى الله وطلبت منه ان لا يفضحني ، قبل توبتي واستجاب دعائي .

فقال رسول الله : ﴿**فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات**﴾[1] .

---

(١) سورة الفرقان : ٧٠ .

قال الشاعر:

لا عــذر لي قـد أتـى المشـيب فــليت شـعري مـتى أتــوب

ابــليس قــد غــرني ونــفسي ومســـني مـــنها اللــغوب

ولست أدري اذا أتــــاني رســـول ربــي بــما أجــيب

هــل أنــا عـند الجـواب مـني أخــطأ فــي القــول أم اصـيب

ام انـــا يــوم الحســـاب نــاج ام لي فـــي نـــاره نــصيب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٣٨.

١٣ ـ بشر الحافي

جاء في كتاب روضات الجنات: ان توبة بشر الحافي كانت على يدي الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حيث انه اجتاز مرّة على دار ببغداد فسمع الملاهي واصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار.

فخرجت جارية وبيدها قمامة النقل؛ فرمت بها في الدرب، فقال عليه السلام لها: يا جارية صاحب هذا الدار حر أم عبد؟ فقالت: بل حر. فقال: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه.

فلما دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأك؟ قالت: حدّثني رجل بكذا وكذا. فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده واعتذر، وبكى لديه استحياءً من عمله. ومنذ ذلك اليوم اجتنب السيئات وصار من جملة الزهاد والعرفاء. ويُقال انه لقب بالحافي لأنّه ركض وراء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حافياً وتاب وهو على هذه الصورة.

قال الشاعر:

يا قاطع الدهر بلذاته   ليس له ناه ولا آمر
أتاك يا مغرور سهم الردى   والموت في سطوته قاهر
يا رب اني لك في كل   ما قدرت عبد آمل شاكر
فاغفر ذنوبي انها جمة   واستر خطائي انك ساتر[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٢٠١.

١٤ ـ توبة فُضَيل

روي ان الفضيل بن عياض كان في بداية امره من قطاع الطريق الذين لا يتورعون عن ارتكاب اية كبيرة، وكان اسمه يثير الرعب في النفوس حتى ان خليفة ذلك العصر هارون الرشيد كان يخشاه.

وفي أحد الأيام وقف على ضفة نهر ليسقي فرسه اذ وقع بصره على فتاة في غاية الجمال تحمل على كتفها قربة ومتجهة صوب الماء تريد ملء القربة. فوقع حبّها في قلبه وما رفع عنها بصره حتى ملأت قربها وذهبت.

امر اتباعه باقتفاء اثرها حتى اذا بلغت دارها طرقوا الباب وابلغوا اهلها بوجوب اعداد هذه الفتاة الجميلة واخلاء الدار تلك الليلة لأن فضيل راغب بوصالها. (ولهذا السبب نادى الاسلام بوجوب الحجاب حتى لا تقع عين الأجنبي على المرأة وما يتمخض عن ذلك من آلام وكوارث).

ما ان بلغ الخبر ابويها حتّى استولى عليهما الذعر. واضطرا إلى استدعاء بعض وجوه البلد للبحث عن مخرج من هذا الموقف. فقيل لهم: لابد من التضحية بالفتاة في سبيل المدينة، لأن فضيل اذا لم ينل بغيته سيحرق كل شيء في تلك المدينة. فاضطر ابواها إلى اعدادها واخلاء الدار.

دخل فضيل المدينة ليلاً وتسلق الجدار وعبر سطوح بعض الدور ليصل إلى دار الفتاة، وهناك تناهى إلى سمعه صوت قراءة قرآن، فانصت اليه واذا هو

رجل يتلو الآية الشريفة : **﴿ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** .

فأثرت هذه الآية في نفسه وعاد ونزل من الجدار وتغيّر حاله ، وقال بنية خالصة وقلب نقي : يا الهي لقد آن وقت الخشوع .

تاب فضيل إلى ربّه توبة خالصة ، وسار تلك الليلة على وجهه إلى ان وصل إلى خربة فرأى فيها بعض التجار والمسافرين الذين لجأوا إلى هذه الخربة خوفاً من فضيل وعصابته ، وحطّوا رحالهم هنا وهم على وشك المسير ويقول بعضهم لبعض : كيف لنا ان نتخلص من شرّ فُضيل ؛ فمن المؤكّد انه سيهجم علينا هذه الليلة ويسلبنا متاعنا .

تأثر فضيل اكثر عند سماع هذا الكلام لأنه كان سبباً في ترويع الناس وايجاد الذعر في القلوب ، فتقدم اليهم وعرفهم بنفسه وقال لهم : طيبوا نفساً بعد اليوم ، فضيل تاب وسلك طريق الله .

انتهج فضيل طريق الزهد حتّى غدا واحداً من عرفاء وزهاد عصره .

يروى ان هارون الرشيد رأى عند ذهابه إلى مكّة حلقة من الناس حول رجل يعظهم وهم يبكون ، فسأل عنه ، قيل له : هذا فضيل الفاسق قد تاب الآن . كان هارون الرشيد من قبل هذا يخشى غاراته وقطعه للطريق وهو اليوم يخشى زهده وتقواه .

كان فضيل يسجل في دفتر لديه اسماء وعناوين الأشخاص في كل قافلة يسلبها ، ولما تاب قصد اصحاب الأموال التي سرقها منهم ووجد اغلبهم واسترضاهم أما الذين لم يجدهم فقد دفع عنهم الصدقات رداً للمظالم ، إلّا رجلاً واحداً يهودياً من نواحي الشام كان فضيل قد سلبه مالاً كثيراً فأبى ان يصفح عنه ، وقال انني قد أقسمت ان لا آخذ بدل مالي المسلوب إلّا ذهباً . ولكنّك ما دمت جاداً في طلبك ولا مال لديك فلا بأس ان تذهب وتأخذ من اموالي

وذهبي الموجود تحت فراشي وتقدمه لي بقصد أداء ما عليك من دين حتّى أكون قد بررت بقسمي، وتكون أنت أيضاً قد بلغت حاجتك.

مد فضيل يده تحت الفراش واخرج مقداراً من الذهب واعطاه لليهودي، فقال من فوره انطقني بالشهادتين، لقد آمنت باله محمد، ولا معنى بعد هذا للبقاء على الديانة اليهودية؛ لاني قرأت في التوراة ان احدى صفات أتباع رسول آخر الزمان هي ان احدهم اذا اخلص لله التوبة من ذنوبه يبدل الله التراب في يده ذهباً اعلم انه لم يكن تحت فراشي إلّا التراب.

وانني انما اردت امتحانك، ولما ابدل الله بقدرته التراب بيدك ذهباً تكشفت لي حقيقتان؛ الأُولى: هي انك تائب حقّاً ومن صميم قلبك، والثانية هي ان الدين الذي انبأ عنه موسى في التوراة، والذي اعتبره ناسخاً لدينه وللدين الذي يأتي بعده (اي المسيحية) هو الدين الذي انت عليه.

وبهذا اسلم ذلك اليهودي على يد فضيل.

قال الشاعر:

إلى كم طول صبوتنا بدار ... رأيت لها اغتصاباً واستلابا

الا ما للكهول وللتصابي ... اذا ما اغترّ مكتهل تصابى

فزعت إلى خضاب الشيب مني ... وان نصوله فضح الخضابا[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٣٣.

١٥ ـ توبة جار فاسق

جاء في المجلد الحادي عشر من كتاب بحار الأنوار ان ابا بصير قال: كان لي جار يتبع السلطان فاصاب مالاً فاتّخذ قياناً وغلماناً. وكان يجمع الجموع ويشرب المسكر ويؤذيني؛ فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته. فلما الححت عليه قال: يا هذا انا رجل مبتلى وانت رجل معافي فلو عرفتني لصاحبك (يعني الإمام الصادق عليه السلام) رجوت ان يستنقذني الله بك. فوقع ذلك في قلبي فلما صرت إلى أبي عبدالله عليه السلام ذكرت له حاله، فقال لي: اذا رجعت إلى الكوفة فانّه سيأتيك فقل له: قال لك جعفر بن محمد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنّة.

فلما رجعت إلى الكوفة أتاني فيمن أتى فاحتبسته حتى خلا منزلي فقلت: يا هذا اني ذكرتك لابي عبدالله عليه السلام، فقال: اقرأه السلام وقل له: يترك ما هو عليه واضمن له على الله الجنّة، فبكى ثم قال: بالله قال جعفر عليه السلام هذا. فحلفت انه قال لي ما قلت لك، فقال لي: حسبك ومضى.

فلما كان بعد ايام بعث اليَّ ودعاني فاذا هو خلف باب داره عريان فقال: يا أبا بصير، ما بقي في منزلي شيء إلّا وخرجت منه وأنا كما ترى. فمشيت إلى اخواني. فجمعت له ما كسوته به. ثم لم يأت عليه إلّا أيام يسيرة حتى بعث اليَّ اني عليل فأتني. فجعلت اختلف اليه وأعالجه حتى نزل به الموت فكنت عنده

جالساً وهو يجود بنفسه ثم غشي ثم افاق، فقال: يا ابا بصير قد وفي صاحبك لنا. ثم مات. فحججت فأتيت ابا عبدالله عليه السلام فاستأذنت عليه، فلما دخلت قال لي مبتدئاً من داخل البيت واحدى رجلي في الصحن والأُخرى في دهليز داره، يا أبا بصير قد وفينا لصاحبك.

قال الشاعر:

حتى متى يا نفس تغتر ... ين بالأمل الكذوب
يا نفس توبي قبل ان ... لا تستطيعي أن تتوبي
واستغفري لذنبك الر ... حمان غفّار الذنوب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٥٦.

١٦ ـ التوبة أفضل من الحدّ

جاء في المجلد السابع من كتاب الكافي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال:

أتاه رجل بالكوفة فقال: يا أميرالمؤمنين إني زنيت فطهّرني قال: ممّن أنت؟ قال: من مزينة قال: أتقرء من القرآن شيئاً؟ قال: بلى قال: فاقرء فقرأ فأجاد فقال: أبك جنّة؟ قال: لا، قال: فاذهب حتّى نسأل عنك فذهب الرجل ثمَّ رجع إليه بعد فقال: يا أميرالمؤمنين إنّي زنيت فطهّرني، فقال: ألك زوجة؟ قال: بلى، قال: فمقيمة معك في البلد؟ قال: نعم، قال: فأمره أميرالمؤمنين عليه السلام فذهب وقال: حتّى نسأل عنك فبعث إلى قومه فسأل عن خبره فقالوا: يا أميرالمؤمنين عليه السلام صحيح العقل فرجع إليه الثالثة فقال له مثل مقالته، فقال له: اذهب حتّى نسأل عنك فرجع إليه الرابعة فلمّا أقرّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام لقنبر: احتفظ به ثمَّ غضب ثمَّ قال: ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملأ أفلا تاب في بيته فوالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحدَّ ثمَّ أخرجه ونادى في الناس يا معشر المسلمين اخرجوا ليقام على هذا الرجل الحدّ ولا يعرفن أحدكم صاحبه فأخرجه إلى الجبّان فقال: يا أميرالمؤمنين أنظرني أُصلّي ركعتين ثمَّ وضعه في حفرته واستقبل الناس بوجهه، فقال: يا معاشر المسلمين إنَّ هذا حق من حقوق الله عزَّوجلَّ فمن كان لله في عنقه حقٌّ فلينصرف ولا يقيم حدود الله من

في عنقه لله حدٌّ فانصرف الناس وبقي هو والحسن والحسين عليهم السلام فأخذ حجراً فكبّر ثلاث تكبيرات ثمَّ رماه بثلاثة أحجار في كلّ حجر ثلاث تكبيرات ثـمَّ رماه الحسن عليه السلام مثل ما رماه أميرالمؤمنين عليه السلام ثـمَّ رمـاه الحسـين عليه السلام فـمات الرجل فأخرجه أمير المؤمنين عليه السلام فأمر فحفر له وصلّى عليه ودفنه فـقيل: يـا أميرالمؤمنين ألا تغسّله؟ فقال: قد اغتسل بما هو طاهر إلى يوم القيامة لقـد صبر على أمر عظيم[1].

قال الشاعر:

فرض على الناس أن يـتوبوا لكـــن تـرك الذنـوب أوجب
والدهـر فـي صـرفه عـجيبٌ وغـفلة النـاس فـيه أعـجب
والصبر فـي النـائبات صـعب لكـن فـوت الثـواب اصعب
وكـــل مـــا يـــرتجى قـريب والموت من كل ذاك أقرب[2]

(١) فروع الكافي ج ٧، ص١٨٨ ح ٣.
(٢) ديوان أبي العتاهية ص١٥.

١٧ ـ سارق الأكفان

جاء في باب الخوف والرجاء من كتاب بحار الأنوار للمرحوم العـلامة المجلسي رضوان الله عليه انه كان في بني اسرائيل رجل ينبش القبور، فاعتل جار له فخاف الموت. فبعث إلى النبّاش فقال: كيف كان جواري لك؟ قـال: احسن جوار. قال: فانَّ لي اليك حاجة. قال: قضيت حاجتك. قال: فاخرج له كفنين، فقال: احب أن تأخذ احبّهما اليك واذا دفنت فلا تنبشني. فامتنع النباش من ذلك وابى ان يأخذه، فقال له الرجل احب ان تأخذه، فلم يزل به حتى اخذ احبهما، ومات الرجل.

فلما دفن قال النبّاش: هذا قد دفن، فما علمه بأني تركت كفنه أو اخذته. لآخذنّه. فأتى قبره فنبشه فنسمع صائحاً يقول ويصيح به: لا تفعل. ففزع النباش من ذلك. فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده: اي اب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا. قال: فانَّ لي اليكم حاجة. قالوا: قل ما شئت فانّا سنصير اليه ان شاء الله. قال: فأحب ان انا متُّ ان تأخذوني فتحرقوني بالنار فاذا صرت رماداً فدقّوني، ثم تعمّدوا بي ريحاً عاصفاً فذروا نصفي في البر ونصفي في البـحر. قالوا: نفعل.

فلما مات فعل بعض ولده ما اوصاهم به. فلما ذروه قال الله عزوجل للبر: اجمع ما فيك، وقال للبحر: اجمع ما فيك. فاذا الرجل قائم بين يدي الله جـل

جلاله ، فقال له : ما حملك على ما أوصيت ولدك ان يفعلوه بك ؟ قال : حملني على ذلك وعزّتك خوفك .

فقال الله جل جلاله : فاني سأرضي خصومك وقد آمنت خوفك وغفرت لك .

قال الشاعر :

ايها ذا الناس مـا حـلَّ بكـم؟ عجباً من سهوكم كل العـجب
وسـقام ثـم مـوت نـازلٌ ثـم قـبر ونـزول وجـلب
وحسـاب وكـتاب حـافظ ومـوازيـن ونـار تـلتهب
وصراط مـن يـقع عـن حـده فالى خزي طـويل ونـصب[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٧٣ .

١٨ ـ توبة قاتل

قال اسحاق بن ابرهيم الطاهري: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله في النوم وهو يقول: اطلق القاتل. فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في اوراق السجن، واذا ورقة فيها ان رجلاً ادعي عليه بالقتل واقر به. فأمرت باحضاره.

فلما رأيته وقد ارتاع قلت له: ان صدقتني اطلقتك. فحدثني انه كان هو وجماعة من اصحابه يرتكبون كل عظيمة، وان عجوزاً جاءت لهم بامرأة، فلما صارت عندهم صاحت: الله الله، وغشي عليها. فلما افاقت قالت: انشدك الله في امري فانّ هذه العجوزة غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات، وانا شريفة جدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وامي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم فيَّ.

فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال: لابد منها. وقاتلني فقتلته، وخلّصت الجارية من يده. فقالت: سترك الله كما سترتني.

وسمع الجيران الصيحة، فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولاً والسكين بيدي، فامسكوني وأتوا بي اليك وهذا امري. فقال اسحق: قد وهبتك لله ولرسوله. فقال: وحق الذين وهبتني لهما لا اعود إلى معصيته ابداً.

نلاحظ في هذه القصة ان هذا الرجل قد نجا من القتل وشمله لطف الله

ورسوله لانه ترك الحرام واعان مظلوماً في سبيل الله ولاجل حرمة رسوله .

قال الشاعر :

إيــاك والبــغي والبــهتان والغــيبة   والشك والكفر والطغيان والريــبة
ما زادك السن من مثقال خــردلةٍ   الّا تــقرب المــوت مــنك تــقريبه
فـــما بـــقاؤك والأيــام مســرعة   تصعيدة منك أحياناً وتــصويبه[١]

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٦٤.

١٩ ـ توبة قطّة

ذكر المرحوم الحاج النوري رضوان الله عليه في كتاب دار السلام:

نقل أحد علماء النجف قائلاً: كانت لنا في الدار حمامة نحبّها كثيراً، وكانت ثمة قطة تأتي دارنا بين الحين والآخر. وفي أحد الأيام هجمت القطة على الحمامة وأكلتها. واقتفى الأولاد اثرها ولكن لم يلحقوا بها. واحضرت انا عصا إلى جانبي لكي اعاقبها على سوء فعلها اذا جاءت. ولكن مرّت عدّة ايام ولم تأت لأنها تفهم وتعي ان الموضع الذي يسرق منه ليس من السهل العودة اليه.

ولاحظت ذات يوم انها قادمة بهدوء وتتصرف بمزيد من الحذر والسكينة. فكمنت لها في موضع لكي لا تراني وتهرب، فدخلت احدى الغرف، فاضطررت إلى الإختفاء وراء الستائر، إلى ان دخلت إلى المكتبة فدخلت وراءها واغلقت الباب، فانتبهت إلى ان الباب أُغلق، وهجمت عليها بعصاي. فرأت ان لا مجال للهرب ولا محيص لها من الخروج، فقفزت فجأة فوق الكتب ووضعت رأسها ويديها على مصحف شريف كان بين الكتب، وكأنها استجارت به.

ولما رأيتها استجارت بالقرآن، رميت العصا من يدي وفتحت لها الباب لكي تخرج، فوثبت بهدوء وخرجت ويبدو انها تابت توبة صادقة فلم تتطاول

من بعد ذلك على شيء في دارنا، لا على الحمام، ولا على السمك، ولا على اللحم، ولا أي شيء آخر.

هذا حال الحيوانات !! فانتبه يا ابن آدم اذا تبت فحذار ان تعاود المعصية مرّة اخرى.

قال الشاعر:

مـــــا لنــــا لا نـــــتفكر ايـــن كســرى ايــن قـيصر
ايـــــن مـــن جــمع المـــا ل مـــع المـــــال فأكـــثر
ايـــن مـــن كـــان يســـامي بـــــغنى الدنـــيا ويـــفخر[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص١٨٨.

٢٠ ـ توبة شاب فاسق

جاء في كتاب شرح الصحيفة السجادية انه كان في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله شاباً فاسقاً لا يصغي لكثرة النصائح من أبيه. وكان غرور الشباب يمنعه من الإنصياع لنصائح ابيه. ولما تعب الأب من كثرة مشاكسته طرده.

بعد مدة مرض الإبن، وتناهى الخبر إلى اسماع الأب، الا انه لم يعره اي اهتمام وقال انني اعتبره ابناً عاقاً.

توفي الإبن ولم يشارك الأب حتى في تشييع جنازته. وتولى آخرون امر تكفينه وتجهيزه وتشييعه. وفي الليل رأى الأب في عالم المنام ان ابنه يمرح سعيداً في مكان رفيع. فسأله: هل انت ابني؟ قال له الإبن نعم يا أبة. قال له: كيف بلغت هذه المنزلة مع ما كنت عليه في الدنيا؟ قال: كلامك صحيح يا أبتي كنت هكذا حتّى آخر ساعة من حياتي، ولكني لما رأيت نفسي قد شارفت على الموت، وان اقرب الناس اليَّ، وهو أبي، قد تخلّى عني ولم يرحمني ندمت على سوء افعالي وتبت إلى الله، وعند ذاك قلت بقلب كسير: يا أرحم الراحمين. لقد عصيتك فاصفح عني وارحمني، وتوجهت اليه لحظة واحدة من اعماق قلبي وبتوبة خالصة لوجهه الكريم.

لاحظوا كيف ان المرء حتّى وان كان على شفير جهنم، وتاب، وادركته رحمة الله تكفيه لحظة واحدة يتكل فيها على ربّه ويقول: اياك نستعين، ليستقيم امره وتغفر له خطاياه.

قال الشاعر:

كيف اغتررت بصرف دهرك ياأخي
كـــيف اغـــتررت بـــه وأنت لبـيب
ولقـــد حـــلبت الدهـــر أشـطر ذره
حـــــقباً وأنت مـــــجرب وأريب
والمـــوت يـترصد النـفوس وكـلنا
للـــموت فـــيه وللـــتراب نـــصيب
ان كنت لست تـنيب ان وثب البـلى
بـــل يـــا أخـــي مـتى أراك تـنيب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٤٠.

٢١ ـ مساعدة كلب

جاء في كتاب لئالي الأخبار ان امـرأة كـانت تـمارس البـغاء وتـحضر مجالس اللهو واللعب مرت ذات يوم اثناء سفرها بالصحراء على بئر ، ولكنها لم تعثر على دلو تغترف به الماء ، فنزلت إلى قعره وشربت الماء وخرجت منه .

لاحظت عند خروجها ان ثمة كلب عطشان يبحث عن المـاء ، فـرق له قلبها فجعلت حذاءها دلواً وظفيرتها حبلاً واغترفت له الماء وسقته . ثم قالت : اللهم اغفر لكلبة بكلب .

وبما انها رحمت كلباً وسقته ، فقد التفت اليها ربّها بالرحمة وجـعل ذلك الكلب سبباً لغفران خطاياها . ثم ان المرأة اكثرت من البكاء وتابت من سـوء اعمالها .

لقد كان هذا العمل الطيّب سبباً لتوبتها وأوبتها إلى الله ورحيلها عن هذه الدنيا وهي في غاية السعادة .

قال الشاعر :

اذكـــر مــعادك افــضل الذكــر

لا تَنْــسَ يــوم صــبيحة الحشــر

يـــوم الكـــرامـــة للاولى صـــبروا
فـــالخير عـــند عـــواقب الصـــبر
فـــــي كـــل مـــا تـــلتذ انـــفسهم
انـــهارهم مـــن تـــحتهم تـجري[١]

(١) ديوان أبي العتاهية ص١٩٧.

٢٢ ـ العابد العاصي

جاء في كتاب «الاثني عشرية» ، وكذلك في «الكلمة الطيّبة» للمرحوم الحاج النوري رضوان الله عليه ، ان الشيخ الشوشتري نقل في «مواعظه» :

ان عابداً عبدالله سبعين سنة ، وذات يوم طرقت بابه امرأة جميلة وطلبت منه ان يأذن لها بالمبيت في داره تلك الليلة . في بداية الأمر رفض العابد ان يأذن لها ، ولكنها تشبّثت به ، ولما تأمّل محاسنها اغراه جمالها ، واستحوذ حسن صورتها على تلابيب قلبه ، واضطر في نهاية الأمر لتلبية طلب تلك الزانية ، وانتقل هو إلى دارها ، وقدّم له كل ممتلكاته .

ما كاد يمضي اسبوع حتّى ترك العابد خلال هذه المدّة كل عبادته التي اتضح انها كانت طوال هذه السبعين عاماً خالية من الجوهر . وبعد ما مرّ عليه اسبوع افاق من غفلته وعاد إلى رشده ، اين كان وإلى مَ انتهى ؟ كيف كان يحلق ، وكيف سقط هذا السقوط الفظيع ؟ وما هومصيره لو انه مات على هذا الحال ؟ ومع من يُحشر ؟

واسعفته الرحمة الالهية ، مع ان تلك العبادة لمدة سبعين سنة كانت بعيدة عن الروح إلاّ أنّ الله لم يكله إلى نفسه . فأخذته الرجفة بغتة ويبكي وندم وخرج تائباً يلطم على رأسه . فسألته المرأة : مالَكَ، وإلى اين انت ذاهب ؟ قال : تذكرت عبادتي سبعين سنة كنت خلالها بين يدي ربّي ووجدت اني قد ابتعدت عنه الآن

ولما هم بالمسير، قالت له: اسألك بحق الرب الذي تعبده اذا انت تبت ان تدعو لي بتوفيق التوبة. خرج من عندها ولا ملجأ أمامه الّا المسجد ليمضي فيه تلك الليلة.

كان يقيم في ذلك المسجد عشرة عميان يأتيهم أحد جيران المسجد بعشرة ارغفة كل ليلة. ولما جاءهم بالارغفة العشرة تلك الليلة ووضعوها أمام العميان، مدَّ العابد يده وأخذ رغيف أحدهم لانه كان جائعاً أيضاً. ولما مدَّ الأعمى يده ولم يجد رغيفه نادى باكياً: من اخذ رغيفي؟ وكيف لي ان اتحمل الجوع هذه الليلة؟

وهنا قال العابد لنفسه: انت ايها الآبق اولى بأن تموت ولا يبقى هذا الأعمى جائعاً هذه الليلة. واعاد الرغيف أمام الأعمى. كانت تلك آخر ليلة من حياة ذلك العابد. وبقي الملائكة حيارى عند قبض روحه، ومن منهم يقبض روحه؟ ملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة؟

جاءهم النداء: زنوا اعماله. فوزنوا سبعين سنة عبادة في مقابل اسبوع من المعصية، فرجحت كفّة المعصية. وهنا اسعفته رحمة ربّه يا من سبقت رحمته غضبه. وجاء النداء ثانية: زنوا سرقة رغيف الخبز مع الخجل الذي اعقبها. وهنا رجحت كفّة الفضيلة.

اجل، لقد كانت تلك اللحظة من الخجل والندم واعادة رغيف الخبز سبباً في ان يأخذ ربّه بيده وقبضت روحه على حسن عاقبة.

قال الشاعر:

لهونا لعمر الله حتى تتابعت
ذنوب على آثارهن ذنوب

فـــيا ليت أن الله يـــغفر مـــا مـضى
ويأذن فـــــي تـــــوبتنا فـــــنتوب
اذا ما مضى القرن الذي كـنت فـيهم
وخــلفت فـي قـرنٍ فأنت غـريب[١]

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٣٤.

٢٣ ـ اللصّ الشاب

روي ان رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم فلم ينج ممن كان في السفينة إلّا امرأة الرجل فانها نجت على لوحٍ من الواح السفينة حتى الجأت إلى جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلّا انتهكها فلم يعلم إلّا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه اليها فقال: انسـية ام جنّية؟ فقالت: انسية. فلم يكلمها حتّى جلس منها مجلس الرجل من اهله. فلما اهم بها اضطربت.

فقال لها: مالك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا، وأومأت بـيدها إلى السماء. قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا، وعزّته. قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تضعي من هذا شيئاً، وانما استكرهتك استكراهاً؟ فانا والله اولى بهذا الفرق والخوف واحق منك.

فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى اهله وليست له همّة الّا التوبة والمراجعة. فبينما هو يمشي اذ صادفه راهب يمشي في الطريق فحميت عليهما الشـمس فقال الراهب للشاب. ادع الله يظلنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس.

فقال الشاب: ما أعلم ان لي عند ربي حسنة فأتجاسر على ان أسأله شيئاً. قال: فادعو انا وتؤمّن انت. قال: نعم. فاقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن فما كان باسرع من ان اظلتهما غمامة، فمشيا تحتها ملياً من النهار. ثم تفرقت الجادة

جادتين؛ فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة. فاذا السحابة مع الشاب. فقال الراهب انت خير مني، لك استجيب ولم يُستجب لي، فاخبرني ما قصتك فأخبره بخبر المرأة. فقال: غفر الله لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون في ما تستقبل.

قال الشاعر:

يــا مــن يســر بــنفسه وشــبابه
إني سررت وأنت في خـلس الردى
يـا مـن أقـام وقـد مـضى اخـوانـه
مــا أنت الاّ واحــد مــمن مـضى
انسـيت أن تـدعى وأنت مـحشرج
ما ان تـفيق ولا تـجاوب مـن دعـا
أمــا خــطاك إلى العـمى فسـريعة
وإلى الهدى فأراك منقبض الخطى[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص٢٩.

٢٤ ـ الشاب السكّير

ورد في كتاب «منهج الصادقين» ان ذا النون المصري ذلك الرجل الشريف الذي يعد من جملة عرفاء عصره كان ماراً ذات يوم إلى جانب نهر النيل في مصر اذ وقع بصره بغتة على عقرب رآها تحث السير نحو نهر النيل. فقال في نفسه: لاشك ان لدى هذه العقرب مهمّة عاجلة فاقتفى اثرها إلى ان وصلت إلى حافة الماء، فجاءت سلحفاة والتصقت إلى جانب العقرب فركبت هذه فوق ظهرها وسارت بها السلحفاة صوب الجانب الآخر من النهر.

اخذ ذا النون زورقاً على وجه السرعة وسار نحو الجانب الآخر ايضاً. ولما وصلت السلحفاة إلى الجانب الآخر التصقت بساحل النهر ونزلت العقرب وسارت في طريقها. وبقي ذا النون يسير وراءها إلى ان وصلت إلى شجرة كان إلى جانبها شاب قد وقع من شدّة السكر، وبقربه افعى رافعاً رأسه عند صدر ذلك الشاب الذي كان فاتحاً فاه، والأفعى على وشك ادخال رأسها في فمه. فجاءت العقرب وصعدت فوق الأفعى ولدغتها في رأسها، فسقطت وعادت العقرب ادراجها.

ظل ذا النون حائراً في معرفة السبب الذي من اجله حفظ الله هذا الفتى. فايقظه حتى استعاد وعيه، وقال له: انهض اريد ان اعرف حقيقة امرك، وأنّى لك ان تكون خصماً لله؟ نظر الشاب فرأى إلى جانبه افعى، وقص عليه ذا النون

الحكاية فاخذ بالبكاء. وقيل انه تاب وندم على ما سلف منه، وبقي ملازماً لذي النون لا يفارقه، وطلب منه ان يرشده إلى طريق الهداية، وإلى ما فيه العفو والمغفرة. فاستجاب له واصطحبه إلى مدينة مصر ودأب هناك على العبادة والتبتل إلى الله حتى صار من جملة الأخيار والصالحين.

قال الشاعر:

وأي المحارم لم تنتهك ... واي الفضائح لم تأتها
كأني بنفسك قد عوجلت ... على ذاك في بعض غراتها
وقامت نوادبها حسراً ... تداعي برنة اصواتها
الم تر أن دبيب الليالي ... يسارق نفسك ساعاتها[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص٩٩.

٢٥ ـ عابد عَبَد ربّه سبعين سنة

جاء في كتاب بحار الأنوار عن اصول الكافي نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: كان عابد في بني اسرائيل لم يقارف من امر الدنيا شيئاً. فنخر ابليس نخرة فاجتمع اليه جنوده، فقال: من لي بفلان ؟ فقال بعضهم: أنا فقال: من أين تأتيه ؟ فقال: من ناحية النساء. فقال: لست له، لم يجرّب النساء. فقال له آخر: فأنا له قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللذات. قال: لست له، ليس هذا بهذا. قال آخر: فأنا له. قال: من أين تأتيه ؟ قال: من ناحية البِر. قال: انطلق فانت صاحبه.

فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلّي. قال: وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح. فتحول اليه الرجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله وقال: يا عبدالله بأي شيء قويت على هذه الصلاة ؟ فلم يجبه، ثم اعاد عليه فلم يجبه، ثم اعاد عليه فقال: يا عبدالله اني اذنبت ذنباً وانا تائب منه، فاذا ذكرت الذنوب قويت على الصلاة. قال: فأخبرني بذنبك حتى اعمله واتوب ؛فاذا فعلته قويت على الصلاة. قال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغية، فاعطها درهمين ونل منها. قال: ومن أين لي درهمين ؟ ما ادري ما الدرهمان.

فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين، فناوله إياهما، فقام فدخل

المدينة بجلابيبه يسأل عن منزل فلانة البغيّة، فارشده الناس وظنوا انه جاء يعظها فارشدوه. فجاء اليها فرمى اليها بالدرهمين وقال: قومي، فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، لقد جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فاخبرني بخبرك. فأخبرها فقالت له: ياعبدالله ان ترك الذنب اهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، وانّما ينبغي ان يكون هذا شيطاناً مثّل لك، فانصرف فانّك لا ترى شيئاً.

فانصرف، وماتت من ليلتها (اي بعد التوبة). فأصبحت فاذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة فأنّها من اهل الجنّة. فارتاب الناس، فمكثوا ثلاثا لا يدفنونها ارتياباً في امرها. فاوحى الله عزوجل إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه الّا موسى بن عمران عليه السلام (الشك من الراوي) أن ائت فلانة فصلِّ عليها ومُر الناس ان يصلّوا عليها؛ فأني قد غفرت لها وأوجبت لهاالجنّة بتثبيطها عبدى فلان عن المعصية.

قال الشاعر:

يا نفس أين أبي وأين ابو أبي وأبوه؟ عدي لا أبالك واحسبي
عدي فأينما قد نظرت فلم أجد بيني وبين ابيك آدم من أبِ
أفانت ترجين السلامة بعدهم هلّا هديت لسمت وجه المطلب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص ٤٥.

٢٦ ـ توبة جماعة من الأوباش

أقبل جماعة من الأوباش ذات يوم على الحاج مؤمني، وكان من أصحاب المرحوم الشيخ محمد تقي المجلسي رضوان الله عليه، وقالوا له: سنأتي هذه الليلة إلى دارك. تحيّر الرجل في امره؛ لأنهم ان جاءوا إلى داره يأتون معهم بالات الطرب واللهو، ويمارسون الفسق والفجور، واذا هو منعهم فسوف يناصبونه العداء ويجلبون له المتاعب على الدوام. فاضطر للاستجابة لطلبهم. وتوجه إلى المرحوم الشيخ المجلسي محتاراً، وذكر له المأزق الذي هو فيه.

فكر المرحوم المجلسي وقال: لا ضرر في مجيئهم فليأتوا، وسوف أأتي أنا أيضاً. أعَدَّ الرجل المجلس وجاء الشيخ المجلسي قبل الأوباش.

ولما دخلوا وجدوا الشيخ المجلسي قد حضر ولن يتسنى لهم بوجوده أن يمارسوا الطرب واللهو كما يحلو لهم.

توهّم أحدهم انه يجب ان يقول شيئاً يغيظ به المجلسي حتى يغضب ويغادر المجلس وتكون لهم الحرية في اللعب واللهو ؛فبادر بالقول: ايها السيد ما العيب الذي يراه الناس في سلوكنا ويؤاخذونا عليه؟ قال الشيخ المجلسي: وما السلوك الحسن الذي يستحق المدح فيكم؟ قال: حتى وان كان فينا ألف عيب فنحن معروفون بالوفاء؛ اذا اكلنا الملح والطعام عند أحد لا ننسى ذلك

طوال حياتنا.

قال الشيخ المجلسي: هذه خصلة حميدة ولكنّي لا أراها فيكم. قال الشخص: اسال عنا من شئت، وانظر هل اكلنا الملح والطعام عند أحد ثم أسأنا اليه؟

قال المرحوم المجلسي: اشهد انكم وان كنتم تراعون لأحد حرمة فانكم لا تراعون لله أية حرمة، تأكلون من نعمته وتعصونه.

أثّرت كلمات الشيخ هذه في نفوسهم جميعاً فأخذهم الخجل ولم يتحدثوا بكلمة واحدة، ثم انهم غادروا بعد برهة. وفي الصباح الباكر طرق الأوباش باب دار الشيخ المجلسي وقالوا: لقد نبّهتنا البارحة من غفلتنا وجعلتنا نندم على اعمالنا، فأتمم فضلك علينا، وارشدنا إلى ما فيه صلاحنا.

ودأب الشيخ على ارشادهم إلى طريق التوبة وعمل الخير.

قال الشاعر:

يا أخوتي آجالنا تقترب ... ونحن مع الأهلين نلهو ونلعب
اعدد أيامي واحصي حسابها ... وما غفلتي عما اعد وأحسب
غداً أنا من ذا اليوم ادنى إلى الفنا ... وبعد غدٍ أدنى اليه وأقرب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٣٨.

٢٧ ـ توبة لصّ

ذكر الأصمعي وكان من علماء وعرفاء عصره، وقال: كنت ذات يوم ماراً قرب قرية فما شعرت الّا ورجل أسود وثب من وراء الشجر مجرداً سيفه وشهره بوجهي وقال: اخلع ثيابك وناولني كل ما لديك، والّا قتلتك وثكلت بك اهلك وعيالك. قلت: يا رجل، وهل تعرف من أنا حتى تكلمني بهذه اللهجة ؟!

قال: نحن معشر اللصوص لا معنى عندنا للمعرفة، لانَّ قلوبنا خالية من الرأفة والشفقة.

قلت: انا ابن سبيل ولا شيء عندي الّا هذه الثياب التي تستر بدني.

قال: لا افهم معنىً لكلامك هذا. وانا بحاجة إلى نفقةٍ ومالٍ ورزق.

قلت: يا اخ العرب، ان النفقة والمال والرزق الذي تطلبه ليس عندي، ولكني ادلك على كنز فيهِ أثمن وافضل من ثيابي هذه.

قال: وما هذا الكنز، واين هو ؟

قلت: ألم تقرأ في القرآن قوله تعالى **﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾**[1].

لاحظت فجأة ان هذا الأعرابي الامي الاسود الكالح الصعلوك قد ارتعدت فرائصه عند سماعه لهذه الآية، فسقط سيفه ورمحه من يده ونظر إلى

(١) سورةالذاريات: ٢٢.

السماء وقال: الهي انت جعلت رزقي في السماء وتركتني حائر على الأرض اجوب الصحاري واقطع الطرق واسرق مال الناس. اللهم اعطني رزقي.

وما ان نطق بهذا الكلام عن اخلاص وصفاء نيّة حتى رأيت طبقاً فيه طعام ورغيفين من الخبز ظهرا أمامه في الهواء. فأخذهما الأعرابي وجلس على الأرض يأكل، ولما شبع قال: الحمد لك يا ربي.

ثم تحدثنا بعض الوقت، وارشدته ونصحته، فبكى وابدى ندمه وتوبته، وافترقنا فذهبت انا في طريقي وهو إلى شأنه.

وبعد سنتين رأيته اثناء الطواف حول الكعبة فسألته: أنت فلان؟ قال نعم، ولكني والحمد لله تبت منذ تلك الساعة وندمت على ما سلف مني. جزاك الله خيراً لقاء ارشادي إلى الطريق القويم.

سألته: كيف اصبحت الآن؟

قال: الحمد لله، مذ تبت وذلك الرزق يأتي من السماء بعد صلاة العشاء فآكل الطعام واخفي الأواني في شق في الجبل.

قلت: لماذا لا تتصرف بها؟

قال: ليس من المروءة ان تأكل من مائدة الكرام وتأخذ أوانيهم.

قلت: لماذا لا تعطيها للفقراء؟

قال: لا أتصرف فيها بلا اذنه.

قال الأصمعي: استحسنت حاله وعلو مقامه فاردت تقبيل يديه ورجليه.

لكنه قال: لا تفعل هذا يا شيخ، ولكن اذا اردت التقرب إلى ربّك فاقرألي شيئاً مما قرأته عليَّ يومذاك.

قلت: ﴿فورب السماء والأرض انه لحق مثل مانكم تنطقون﴾[١].

---

(١) سورة الذاريات: ٢٣.

قال: واي جاهل هذا الذي ينكر كلام الله حتى يحتاج إلى القسم. اقرأ، اقرأ نفسي لهذه الآية الفدى ما اجملها من آية.

قرأت له تلك الآية فرأيته تأوه وأسلم نفسه إلى بارئها.

فحملوه وغسلوه وكفنوه، ثم صلوا على جنازته ودفنوه.

وبعد اسبوع من وفاته مر عليَّ طيفه في عالم الرؤيا، وهو مبتهج وعليه ثياب جميلة فقلت له: كيف بلغت هذا المقام يا صديقي؟

قال: لأني صدقت كلام الله، وسمعته بصفاء وتلقيته باخلاص ويقين.

قال الشاعر:

اتـــق الله بــــحمدك ... قـــاصداً او بـــعض جـــهدك
ايـــها العـــبد إلى كـــم ... تشـــتري الغـــي بـــرشدك
كـــم وكـــم عـــاهدت مـــولاك ... فـــلم تـــوفي بـــعهدك
اعـــطِ مـــولاك لمـــا تـــطا ... لب مـــن طـــاعة ربك[1]

وقال الشاعر:

شاد الملوك قصورها وتـحصّنوا
من كـل طـالب حـاجة او راغب
غـالوا بـابواب الحـديد تـمنعاً
قد بالغوا في قبح وجه الحـاجب
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن
بادي الضراعة طالباً من طالب[2]

(١) ديوان أبي العتاهية ص١٤٨.
(٢) سنابل الحكمة ص٢٤١.

٢٨ ـ توبة مالك

كان عالماً زاهداً من اكابر عصره، وكان في مبدأ امره يشرب الخمور، ويرتكب في سكره انواع الفجور، ثم نقل من كلام نفسه انه قال: كنت منهمكاً في شرب الخمر، ثم ولدت لي بنتٌ فشغفت بها؛ فلّما دبّت على الأرض ازداد في قلبي حبّها وألفتني والفتها، وكنت اذا وضعتُ المسكر بين يدي جاءت اليَّ وجاذبتني فاهرقته على ثوبي. فلما تمت لها سنتان ماتت فحزنت عليها. فلما كان ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملاً من الخمر ولم أُصلِّ فيها العشاء الآخرة، فرأيت في ما يرى النائم كأن القيامة قامت ونفخ في الصور وبعثرت القبور، وحشرت الخلائق وانا معهم، فسمعت حنيناً من ورائي فالتفتّ فاذا انا بتنّين كبير اعظم ما يكون، أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي؛ فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه، فردَّ السلام فقلت: ايها الشيخ اجرني من هذا التنين اجارك الله. فبكى الشيخ وقال لي: انا ضعيف وهذا اقوى منّي وما اقدر عليه ولكن مُر واسرع لعلَّ الله يفتح لك ما يُنجيك منه.

فوليت هارباً على وجهي؛ فصعدت على شرف من شرف القيامة، فاشرفت على اطباق النيران؛ فنظرت إلى هولها وكدت اهوى فيها من فزع

التنين . فصاح بي صائح : ارجع فلست من اهلها . فاطمأننت إلى قوله ورجعت ، فرجع التنين في طلبي . فأتيت الشيخ ، فقلت : يا شيخ : سألتك أن تجيرني من هذا التنين فما فعلت . فبكى الشيخ وقال : انا ضعيف ولكن سِر إلى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين ؛ فان كان لك فيها وديعة فستنصرك . قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيها كوى وستور معلّقة عليها من ذهب شهلاء بالياقوت مكوكبة بالدر ، على كل مصراع ستر من الحرير . فلما نظرت إلى الجبل وليت هارباً والتنين من ورائي حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة : ارفعوا الستور ، وافتحوا المصاريع ، ففتحت فاشرف عليَّ اطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين مني فتحيرت في امري فصاح بعض الأطفال : ويحكم اسرعوا كلكم فقد قرب منه عدوّه ؛ فاسرعوا فوجاً بعد فوج . واذا بابنتي التي ماتت قد اشرفت عليَّ معهم فلما رأتني بكت وقالت : ابي والله ثم وثبت في كفّة من نور حتى مثلت بين يدي ومدت يدها اليسرى إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدّت يدها اليمنى إلى التنين ؛ فولى هارباً ثم اجلستني وقعدت في حجري وقالت يا أبة : **﴿ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** .

فبكيت وقلت : يا ابنتي وانتم تعرفون القرآن فقالت : نعم ، نحن اعرف به منكم قلت : فاخبريني عن التنين الذي اراد ان يهلكني . قالت : ذلك عملك السوء . قلت : وما تصنعون في هذا الجبل ؟ قالت : نحن اطفال المسلمين قد اسكنّا فيه إلى ان تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا نتشفع لكم .

قال مالك : فانتبهت من النوم فزعاً واصبحت ففارقت المسكر وتبت إلى الله تعالى .

يُنسب الى الامام علي عليه السلام انّه قال:

ذنـــوبي ثـــقالٌ فــما حـــيلتي
اذا كـــنت فـــي البـعث حـمّالها
ترى الناس سكارى بـلا خـمرة
ولكـــن تـــرى العـين مـا هـالها
نســـيت المـــعاد فـــيا ويـــلها
وأعـــطيت للـــنفس آمـــالها[1]

(١) ديوان الامام علي عليه السلام: ١٠٨.

٢٩ ـ الفتاة المخدوعة

كانت تعيش في احدى مدن غرب ايران اختان ؛ أحداهما اغواها الشيطان فانتهجت سبيل البغاء ، وقضت معظم شبابها في هذا الطريق ، أما اختها فقد تزوجت وصار لها اطفال وحياة زوجية هانئة ؛ فكانت تنظر إلى اختها المخدوعة بغرور وتكبر وازدراء .

وبعد ما انقضت أيام الشباب وعجزت الأُخت المخدوعة ، واغلقت بوجهها اسباب المعيشة ، اضطرت في احدى ليالي الشتاء الباردة ، بعد ما ارهقها الجوع والإملاق إلى ان تطرق باب اختها وتطلب منها العون . ولما فتحت الأُخت الباب ورأتها اغلقت الباب بوجهها . بانزجار وقالت لها : اذهبي يا عاهرة .

عادت الأُخت المخدوعة ادراجها بقلب كئيب ، وتوجهت إلى دارها وهي مريضة ولا تملك من النقود ما تشتري به الطعام او مستلزمات التدفئة ، وتكرر مع نفسها عبارة : اذهبي ياعاهرة ، واستشعرت الندم واخذت تبكي وتلوم ذاتها . وفي نهاية المطاف قضى عليها البرد والجوع والمرض .

وبعد موتها شوهدت في المنام ، فسُئلت عن حالها ، فقالت : حسن ، فأنا في تلك الليلة حين يئست من كل شيء وحتى ان اختي طردتني بكل قسوة ، توجهت إلى ربي نادمة وتائبة عن كل ذنوبي ، واستغفرته حق الاستغفار وبقيت

ابتهل اليه، وبعد لحظات جاءوا بي إلى هـذه الحـديقة. لا يـنبغي اليأس مـن رحمة الله.

ينسب إلى الإمام علي عليه السلام انه قال:

أيـــا مـــن ليس لي مـــنه مـجير
بـــعفوك مـــن عـقابك استجير
أنـــا العـــبد المـــقر بكـــل ذنب
وأنت الســـيد الصـــمد الغـــفور
فـــان عـــذبتني فـــالذنب مـني
وأن تـــغفر فـــانت بـه جـدير[1]

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص٦٩.

٣٠ ـ فضل الله

جاء في المجلد الأول من كتاب «المستطرف» : ان مـلاحاً بـنهر النـيل المبارك في مصر قال : كنت اجتاز من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، ومن الجانب الشرقي إلى الغربي احمل الناس فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة ، فقال : السلام عليكم . فرددت عليه السلام ، فـقال : اتحملني إلى الجانب الغربي لله تعالى . فقلت : نعم . فطلع إلى الزورق وعديت به إلى الجانب الغربي .وكان على ذلك الفقير مرقّعة ، وبيده ركوة وعصا . فلما اراد الخروج من الزورق قال : اني اريد ان احملك أمانة . قلت : وماهي؟ قال : اذاكان غداً وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميّتاً ، وستنسى ؛ فاذا أُلهـمت فـاتني وغسّلني وكفّني في الكفن الذي تجده عند رأسي ، وصل عليَّ وادفنّي تـحت الشجرة ، وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره .

قال الملاح : ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبتُّ تلك اللـيلة فـلما اصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي . فلما جاء الوقت نسيت ، فما تذكرت الاّ قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتاً ، ووجدت كفناً جديداً عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم اعرف منهم أحداً فصلّينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما

عهد اليَّ ثم عدت إلى الجانب الشرقي وقد دخل الليل، فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا انا بشاب قد اقبل عليَّ فحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم فاقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطارة تحت ابطه. فسلم علي فرددت عليه السلام فقال: ياملاّح، انت فلان بن فلان ؟ قلت: نعم. قال: هات الوديعةالتي عندك. قلت: ومن اين لك هذا ؟ قال: لا تسأل. فقلت: لابد ان تخبرني. فقال: لا ادري، الّا اني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغني إلى ان ذكر الله الذاكرون على المآذن. فنمت لأستريح واذا برجل قد ايقظني وقال: ان الله تعالى قد قبض فلاناً الولي، واقامك مقامه، فسر إلى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ اودع لك عنده كذا وكذا.

قال: فدفعتها له فخلع اثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق وقال: تصدّق بها على من شئت، واخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني اتحرق لما حرمت من ذلك. واقمت يومي ذلك ابكي إلى الليل.

ثم نمت فتناهى إلى سمعي صوت يقول: يا عبدي اثقل عليك ان مننت على عبد عاص بالرجوع اليَّ، انّما ذلك فضلي أوتيه من اشاء من عبادي، وانا ذو الفضل العظيم.

قال الشاعر:

رأيت الناس صاحبهم قليل ... وهم والله محمود ضروب
ولست مسمياً بشراً وهوباً ... ولكن الإله هو الوهوب
تحاشا ربنا عن كل نقص ... وحاشا سائليه بأن يخيبوا[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص٣٦.

٣١ ـ طريق الحقّ

ذكر الأُستاذ آية الله سيد حسن الأبطحي في كتاب «سير إلى الله» بأن أحد الأشخاص ذكر له: إني كنت ليلة الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٤٠٤هـ وهي ليلة ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة. وكنت في تلك الأيام في غفلة عن الله وعن الدين وعن جميع الجوانب الروحية. وكان بعض الأصدقاء يذكّرني بين الحين والآخر بيوم القيامة وبالمثل والكمالات الروحية، والآفاق الانسانية. الا انني كنت كسائر الناس همّي الدنيا والعيش والطعام والحياة الحيوانية.

مررت تلك الليلة على ضريح الأمام الرضا عليه السلام حيث اقيم حفل بهيج بتلك المناسبة. ومع ان الساعة كانت حوالي العاشرة ليلاً الّا اني رأيت الناس مزدحمين في الصحن الشريف ويتناقلون بينهم اخباراً بلهفة وشغف وهي ان ٢١ شخصاً من ذوي الأمراض المستعصية ممن دخلوا الصحن الشريف وما جاوره قد شفوا من امراضهم. وكل شخص من الحاضرين يدعي انه رأى بعضهم، وشهد شفاءهم. وفي تلك اللحظة رأيت شخصاً يمر إلى جانبنا والناس يشيرون اليه ويقولون هذا واحد منهم.

تقدمت اليه لأطلع على حقيقة امره، وبدا لي اني اعرفه، ولهذا بادرته اولاً بالقول: أين رأيتك من قبل ؟

قال: البارحة في المطعم الفلاني كنا نتعشى سوية وقد اسفت لحالي وكنت تنظر اليّ بألم، وبقيت جالساً أمامك حوالي نصف ساعة. ولما سمعت هذا الكلام تذكرت انني ذهبت البارحة لتناول العشاء في المطعم. كان في مقابلي شخص مشلول الرجلين يجلس على عربة ويتعشى ويبدو انه يواجه صعوبة شديدة فتألمت لحاله حتّى انني اردت دفع ثمن طعامه.

كنت البارحة قد رأيت رجليه ولم يكونا سوى قطعتين من العظم يكسوهما جلد. فقلت له: دعني أنظر رجليك لأرى كيف استعدت سلامتك. رفع بنطاله فوراً فرأيت رجلين طبيعيّتين يكسوهما اللحم والعضلات ولا اثر للشلل فيهما!! فصحت في الحال: الهي عميت عين لا تراك. اللهم اغفر لي غفلتي واسرافي على نفسي طول عمري، واعترف انني كنت اتجاهل وجودك لكي ابرر لنفسي معصيتك حتّى انني كنت لا اقر بكل ما يذكر من لطفك وفضلك ورحمتك. الهي ظلمت نفسي، ومع لطفك بي كنت اعصيك اللهم اسألك رأفتك ورحمتك، فان لم تغفر لي فبمن الوذ! وعندها احتشد الناس حولي يسألونني عمّا جرى الّا انني ما كانت لي قدرة على اجابة أحد منهم. وبقيت اسكب الدموع هناك حتى الصباح، وتأسفت على ما اسلفته من عمري بالبطالة والغفلة. وعزمت على التوبة لارتقي مدارج الكمالات الروحية باسرع ما يمكن، ولا ادع زخارف الدنيا تلفّني ثانية وتطويني في متاهات الغفلة.

ينسب إلى الإمام علي عليه السلام انه قال:

يا طالب الصفو في الدنيا بلا كدر

طلبت معدومة فايأس من الظفر

واعلم بأنك ما عـمّرت مـمتحن
بالخير والشر والميسور والعسـر
انـــى تـنال بـها نـفع بـلا ضـرر
وانـها خـلقت للـنفع والضـرر[١]

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص٦٨.

٣٢ـ توبة سائق

وجاءت في الكتاب نفسه قصّة شخص آخر لم يذكر اسمه قال: حينما كنانذهب من قم إلى طهران بواسطة الحافلة، ولم يكن الطريق بين هاتين المدينتين قد بُلّط حينها، توقف سائق الحافلة عند سفوح جبال مدينة حسن آباد الواقعة على هذا الطريق، واستأذن من الركاب بان يصلّي ركعتين في هذا البر على وجه السرعة. ومع ان الركاب لم يأذنوا له في بداية الأمر الّا ان موقفه الحازم جعلهم يستجيبون ويأذنون له باداء الصلاة والعودة فوراً.

وحينما صلى وعاد وجلس خلف مقود الحافلة ابديت انا واكثر الركاب رغبة في معرفة السبب الذي دفعه للصلاة في هذا المكان، وما هذه الصلاة التي تؤدى قبل الظهر وبهذا اللون من الإصرار على أدائها في هذا الموضع بالذات؟ فبادرته أنا بالقول: ارجو ان تخبرنا يا حضرة السائق ما هذه الصلاة التي اديتها هنا؟ ولماذا اخترت هذا الموضع من الطريق بالذات؟

قال: في هذا المكان ايقظني الله تعالى من نومة الغافلين، وانا كلما امر من هنا اؤدي ركعتي صلاة الشكر لله تعالى.

قلت: وكيف ايقظك الله في هذا المكان من نومة الغافلين؟ لم يشأ في بداية الأمر ان يشرح لي القصة، ولكنه حينما لاحظ اصراري وسائر الركاب على معرفة اساس الموضوع، وخاصة حينما قلت له: لعل قضيّتك تكون سبباً

في ايقاظ الآخرين من نومة الغافلين، قال:

كنت قبل عدّة سنوات رجلاً متحللاً، وغافلاً عن ذكر الله، وكثير الأذى للناس، ولا شيء يثير في نفسي ذكر الله، إلى ان مررت ذات يوم من هنا بسيارتي الخاصة وكنت وحدي، ونزلت لاراقة المائية في هذا المكان بعد ان اوقفت سيارتي إلى جانب الطريق، وكانت هناك مزرعة قد جمع محصولها من الحنطة.

لفت نظري هناك زنبور كبير نزل على حبّة قمح وحملها بين اسنانه وتوجّه إلى صُخور تقع عند سفح الجبل تقريباً. فاندفعت لا ارادياً إلى التفكير بصلة الزنبور ـ وهو من آكلات اللحوم ـ بحبّة القمح، وحدست انه انما يريدها لأمر آخر. ولهذا قررت متابعته. وسرت وراءه بسرعة ولاحظت انه ذهب إلى مكان فيه عصفور ميت، وعصفورين آخرين صغيرين (خرجا من البيضة تواً)، وما ان سمعا ازيز الزنبور حتّى فتحا منقاريهما ووضع الزنبور حبّة القمح في فم احدهما، وذهب، ولم يمض طويلاً حتى عاد ثانية وكرر نفس العمل جلستُ هناك بعض الوقت وانا الاحظ الزنبور ذهب وعاد عدّة مرات وهو يحمل القمح او اشياء اخرى يطعم بها هذين العصفورين الصغيرين.

كانت كل هذه عبارة عن صيحات في مسامعي تؤكد وجود الباري عزّ شأنه؛ فايقظتني من سبات الغفلة، فبكيت وذرفت دموعاً غزيرة، واخذت الطم على رأسي وأصيح لماذا انا غاط في هذا السبات والغفلة عن الله الذي أرسل هذا الزنبور لاحياء هذين العصفورين الصغيرين. عميت عين لا تراك وتباً لقلب يخلو من محبّتك.

جلست يومها إلى جانب العصفورين وبقيت اراقب حركة ذلك الزنبور، حيث شعرت هناك تماماً بوجود الله، وبقيت ابكي واسجد منيباً إلى الله تائباً

اليه ، حتى انار قلبي وادركت اني افقت من سبات الغفلة ، ويجب عليَّ العمل في سبيل التقرّب إلى خالقي ، ولا بد لي من اجتياز حجب الظلام والتحليق في آفاق الكمال الروحي .

ولهذا صليت في ذلك اليوم ركعتي صلاة الشكر لله تعالى على هذه النعمة وألزمت نفسي بصلاة ركعتي الشكر كلما مررت على هذا المكان .

قال الشاعر :

مسامح أمورك رفقاً ... واجعل معاشك قصدا
من حزم رأيك الّا ... تكون للمال عبدا
ما تأتيه من جميل ... يكسبك أجراً وحمدا
تموت فرداً وتأتي ... يوم القيامة فردا[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص ١٤١ .

٣٣ ـ الشاب النادم

جاء في الكتاب المذكور، ان شخصاً اتصل بي هاتفياً في أحد ايام الصيف الحارة وطلب مني الذهاب إلى داره ولو لمدة نصف ساعة لقضية ضرورية. ولم تكن لدي فرصة لتلبية طلب كهذا فقلت له: انني لا اعرفك، ناهيك عن عدم استطاعتي تلبية مثل هذه الدعوات لأن اشغالي كثيرة ووقتي قليل. لكنه اصرَّ على طلبه، ولما عرّف اليَّ نفسه شعرت بأنَّ اسمه قد تناهى إلى سمعي سابقاً؛ فقلت له: اشرح لي قضيتك بشكل اجمالي لعلي استطيع زيارتك يوماً.

قال: اريد ان احدثك بقضيتي في منزلي، اضافة إلى انها لا تتحمل التأجيل ولو دقيقة واحدة، وحينما تطلع على القضية ستدرك مغزاها. وعلى كل حال استجبت لطلبه وذهبت إلى داره ووجدت أمامه كتاب «الروح المجرّدة» على منضدة المطالعة، والدموع تنهمل من عينيه وهو يقول: اللهم اغفر لي، واصفح عني كم انا متخلّف عن القافلة. وما ان وقع بصره عليَّ حتّى قام وفتح ذراعيه واحتضنني وقال: جزاك الله خيراً؛ فهذا الكتاب قد ايقظني من سبات الغفلة. اريد ان اخبرك أولاً بما كنتُ عليه من سبات عميق، تعال معي لترى ماذا كنت افعل وإلى اي حد كنت غارقاً في المساويء.

سار أمامي وتبعته، واراد اولاً ان يريني حافظة الصور التي لديه، وما ان شاهدت الصورتين الأوليتين منها ـ وكانت صوراً قبيحة لنساء عاريات،

ومشاهد تثير الشهوة، ومجالس رقص وما شاكلها ـ حتى امتنعت عن مشاهدة الصور الأُخرى مخافة الشبهة. واشار إلى ان البقية أسوأ من هذه. ثم قال لي: اشهد بانني سامزقها جميعاً واحرقها؛ وشاهدته مزقها واحرقها فعلاً.

ثم فتح باب ثلاجة كبيرة واذا هي مليئة بانواع الخمور والمشروبات الروحية الأجنبية على الرغم من مرور عدّة سنوات على انتصار الثورة الإسلامية في ايران ومنع الخمور في هذا البلد وعدم توفر اي نوع منها، اخرجها من الثلاجة باجمعها واراقها في بالوعة داره، وكسر كل آلات الموسيقى التي كانت لديه. وجمع صور الممثلات العالميات ومزقها ورماها في سلة الأوساخ، واحرق كل ما لديه من مجلات اجنبية تتضمن صوراً بذيئة، ومن ثم جلس كامرأة ثكلى واجهش بالبكاء وقال: لماذا كنت غافلاً عن كل شيء حتى الآن؟ عندما انظر إلى حياتي السالفة أرى نفسي كالحيوان الأصم الذي همه العلف والنوم والجماع مع فارق انه لا يؤاخذ على فعله يوم القيامة، ولكني احاسب بسبب ما منحنيه الله من عقل. تفضل الآن واخبرني ماذا عليَّ ان افعل حتى اعوّض عما لحق بي من ضرر في ما سبق.

قلت: ان المصيبة الأساسية التي يعاني منها الإنسان هي نومة الغافلين التي أفقت منها والحمد لله، وانت ما شاء الله لا زلت في مطلع شبابك ويمكنك بكل سهولة طلب المغفرة والصفح من الله تعالى. والعمل الذي قمت به الآن أمامي يعني توبتك. ولما سمع هذه الجملة منّي مع ما تحمله من مؤشرات أمل، بكى وقال: انني كثير الخطايا والمعاصي، وفي غاية التعاسة والشقاء. فقلت له: مهما كان ذنبك عظيماً فان عفو الله اعظم واكبر، وليكن عندك أمل بالله ولا تدع الشيطان يلقي هواجس اليأس في نفسك ويسلبك حالة اليقظة هذه. ومهما كانت ذنوبك كثيرة عليك ان تناجي ربك بأكثر ما يمكن في الليالي، ولا تترك الغفلة

والقسوة تستحوذ عليك ثانية .

وعلى كل حال فقد تمسك والحمد لله بكل توجيهاتي وانقذ نفسه من حضيض تلك الحياة الحيوانية ، ويتأمل ان يغدو باذن الله من اولياء الله .

قال الشاعر:

بكت عـــيني عـــلى ذنـــبي　　ومـــالاقيت مـــن كـــربي
فـــيا ذلي ويـــا خـــجلتي　　اذا مـــا قـــال لي ربـــي
أمـــا اســـتحييت تـــعصيني　　ولا تـــخشى مـــن العـــتب
وتـــخفى الذنب مـن خـلقي　　وتأبـــي فـــي الهـوى قـربي
فـــتب مـــما جـــنيت عســـى　　تـــعود إلى رضـــى الرب[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص٣٩.

٣٤ ـ اللصّ النادم

دخل لص ليلاً إلى دار جنيد البغدادي الذي كان من جملة الزهـاد فـي عصره. فلم يجد فيها شيئاً الّا ثوباً فأخذه وذهب به.

وفي اليوم التالي مر الشيخ في السوق فرأى ثوبه بيد ذلك اللـص وهـو يعرضه للبيع. فجاءه رجل وقال له: اريد شراء هذا الثوب، ولكن هل من أحد يشهد بان هذا الثوب لك؟

تقدم اليه جُنيد وقال: انا اشهد انه ثوبه. فاشتراه الرجل وذهب. وحينما علم اللص بحقيقة الحال ندم كثيراً على فعلته وتاب إلى ربّه. وارشده الشيخ إلى طريق الهداية حتى صار في سلك الصالحين.

قال الشاعر:

فمالك ليس يعمل فيك وعـظ ولا زجـــر كأنك جـــماد

ســتندم ان رحـلت بـغير زادٍ وتشـقى اذ يـناديك المـنادى

فلا تأمن لذي الدنيا صـلاحاً فـان صـلاحها عـين الفسـاد

ولا فـــرح بـمال تـقتنيه فـانك فـيه مـعكوس المـراد

وتب مما جـنيت وانت حـي وكـن مـتنبهاً قـبل الرقـاد[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص١٣٨.

٣٥ ـ إلٰه العاصين

جاء في كتاب زبدة القصص ان موسى عليه السلام نادى ربّه ذات يوم في مناجاته من فوق جبل الطور: يا إله العالمين، فجاءه الجواب: لبيك.

ثم قال: يا إله المطيعين، فجاءهُ الجواب: لبيك.

ثم قال: يا إله العاصين، فجاءه الجواب: لبيك، لبيك، لبيك.

فقال موسى على نبيّنا وعليه السلام: الهي ما الحكمة انني عندما دعوتك بأحسن اسمائك اجبتني مرة واحدة. ولما قلت: يا إله العاصين، اجبتني ثلاث مرّات. فجاءهُ الجواب: يا موسى ان العارفين يعولون على معرفتهم والمحسنين على احسانهم، والمطيعين على طاعتهم، لكن العاصين ليس لهم سواي، فان يئسوا منّي فبمن يلوذون؟

ينسب إلى الإمام علي عليه السلام انه قال:

الهـــي أنت ذو فــضل ومـنّ ... وإني ذو خطايا فأعـفُ عـني
وظـني فـيك يـا رب جـميل ... فحقق يا الهي حسن ظـني[1]

---

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ١٣٠.

٣٦ ـ رئيس قطّاع الطريق

وورد في الكتاب المذكور ان عدداً من قطاع الطريق كانوا يجوبون الصحراء بحثاً عن مسافر يسلبونه متاعه. وفجأة شاهدوا رجلاً قادماً، فاسرعوا نحوه على خيلهم. ولما وصلوا اليه قالوا: اعطنا كل ما عندك من مال.

قال: الحقيقة اني لا املك اكثر من ثمانين ديناراً، وعليَّ دين قدره اربعون ديناراً، والأربعون الأُخرى اريد انفاقها على شؤون حياتي والعودة إلى وطني. فقال لهم رئيس قطاع الطريق: خلّوا سبيله، يبدو من ظاهره انه رجل معوز ولا مال لديه. فتركوه وذهبوا إلى موضع آخر بانتظار قافلة ترد ليسلبوها وبعد انتظار دام عدّة ساعات لم يجدوا أحداً.

أما الرجل الذي كان عنده ثمانون ديناراً فقد وصل إلى المقصد الذي يبتغيه ووجد الدائن واعطاه دينه البالغ اربعين ديناراً وعاد إلى وطنه.

فقبض عليه قطاع الطريق مرّة اخرى وقالوا له: اعطنا كل ما لديك من مال. فقال لهم: لقد ذكرت لكم الحقيقة؛ فلم يكن لديّ اكثر من ثمانين ديناراً دفعت منها اربعين ديناراً لشخص كان يطلبني، ولم يبق عندي الآن سوى اربعين ديناراً اريد انفاقها في بعض شؤون حياتي.

امر رئيس قطاع الطريق اتباعه بتفتيش كل متاعه، وبعد ان فتشوه لم يجدوا اكثر من اربعين ديناراً. فقال له رئيسهم: قل لي ما الذي جعلك تصدقني

مع انك كنت عرضة للقتل؟ قال: كنت في صغر سنّي قد وعدت والدتـي ان لا اكذب. ضحك قطاع الطريق عند سماعهم لهذا الكلام.

ولكن انقدحت على الفور ومضة من نور في قلب رئيسهم وندت عـنه حسرة باردة وقال: يا للعجب! انت وعدت امك ان لا تكذب وبقيت متمسكاً بوعدك إلى هذا الحد؟ ونحن لا نتمسك بالوعد الذي قطعناه لربّنا ان لا نعصيـه؟!

كان هذا الصدق الذي ابداه هذا المسافر المؤمن سبباً في تغيير سلوكية رئيس قطاع الطريق ودفعه إلى التوبة والكف عن قطع طريق الناس، وانتهاج طريق السير إلى الله.

قال الشاعر:

طلبتك يا دنيا فأعذرت فـي الطـلب
فـما نـلتُ الاّ الهـم والغـم والنـصب
فـلما بـدا لي انـني لست واصـلاً
إلى لذة الاّ بأضـعافها تـعب
واسرعت في ديني ولم اقض بـغيتي
هربت بـديني مـنك أن نـفع الهـرب
تخليت مما فـيك جـهدي وطـاقتي
كما يتخلى القوم من عرة الجـرب[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٤٩.

٣٧ ـ العاهرة

ذكر المرحوم الشهيد آية الله دستغيب رضوان الله عليه انه كانت في بني اسرائيل امرأة عاهرة على قدر كبير من الحسن بحيث ان كل من يراهـا يـفتتن بها. وكانت باب دارها مشرع على الدوام، وهي تجلس على سرير أمام باب دارها لاجتذاب طلاب الشهوة. وعلى كل من يريد الدخول عليها ومجامعتها ان يدفع عشرة دنانير مسبقاً.

ومَرَّ ذات يوم عابد زاهد على باب دارها ووقع بصره على جمالها الأخّاذ فهواها قلبه ودخل دارها من غير شعور منه، ولم يكن لديه مال، بل كان لديه قماش فباعه ودفع لها عشرة دنانير وجلس إلى جانبها على السرير، وما ان مد يده نحوها حتى قال مع نفسه: يا مسكين ان الله تعالى يراك على هـذا الحـال وانت غارق في المعصية، ولو جاءك عزرائيل الآن وقبض روحك فماذا سيكون موقفك أمام ربك؟ والتفت حينها انه اذا ارتكب هذا العمل فستحبط كل عبادته. وانعكست على وجهه معالم الاستياء والقلق، وراح يغط فـي تـفكير عـميق. فقالت له الزانية: ماذا دهاك؟ ولماذا امتقع لونك ؟!

قال لها العابد: انني اخشى ربي، فاذني لي بالخروج من دارك ؟ قالت له: ويحك: ان الناس يتمنون مجرد الجلوس إلى جانبي على هذا السرير وتحدوهم

رغبة لبلوغ ما اتيح لك بلوغه، ثم تريد الآن ان تتركه في منتصف الطريق ؟ قال: اني اخاف الله ربي. والمال الذي اعطيته لك حل لك. فأذني لي، فأذنت له.

خرج من عندها وهو في غاية الإضطراب من خوف الله واخذ ينادي الويل لي، يا ليت امي لم تلدني. وحالة الخوف هذه التي ظهرت على العابد جعلت الرعب يتسلل إلى قلب تلك الزانية فقالت مع نفسها، لقد اراد هذا العابد اقتراف اول معصية له ومع هذا صار إلى مثل هذه الحالة من الذعر والخوف، فكيف بي وانا غارقة منذ سنوات طويلة في الرذائل والمعاصي. فالرب الذي يخشاه العابد هو ربي ايضاً وعليَّ ان اخشاه اكثر منه.

تابت منذ تلك اللحظة توبة خالصة واغلقت باب دارها وارتدت ثياباً رثّة وانهمكت بالعبادة. وبعد مدّة فكرت مع نفسها وقالت: لو انني ذهبت إلى ذلك العابد واطلعته على حقيقة أمري لعله يتزوجني، ويعلمني ما خفي عني من امور ديني ويكون لي خير معين على العبادة وتطهير نفسي لاعوض عما سلف من خطاياي فاخذت اموالها وخدمها ومتاعها وسارت إلى القرية التي كان يقيم فيها العابد وسألت عن داره. ولما اخبروه ان امرأة تبحث عن داره خرج ليرى من هي، وما ان وقع بصره عليها حتى عرفها، وتذكر ذنبه وصاح صيحة سقط على اثرها ميتاً. (قيل ان تلك المرأة ايضاً تمنت على ربّها ان يميتها فماتت إلى جانب ذلك العابد).

قال الشاعر:

عجبت لنفسي حين تدعو إلى الصبا

فتحملني منه على المركب الوعر

يكـــون الفـتى فــي نـفسه مـتحرزاً
فيأتيه امر الله مـن حـيث لا يـدري
ومـــــاهي الآ رقــدة غــير إنــها
تطول على من كان فيها إلى الحشر[١]

(١) ديوان أبي العتاهية ص ١٧٤.

٣٨ ـ حسن العيّار

يا لها من ايام تلك التي قضيناها في جبهات الحرب. كنا مستغرقين فيها بذكر الله؛ نقرأ القرآن ونصلّي صلاة الليل، ولنا حالات عجيبة من التبتل والإنقطاع إلى الله. كنا نجتمع سوية ونقرأ زيارة عاشوراء ودعاء كميل ودعاء الندبة ودعاء التوسل وما شابه ذلك.

كان لي خلالها صديق صالح قضى ايامه بذكر الله والإنقطاع اليه، وكان اسمه حسن العيار. جاء يوماً إلى موضعي وقال: عندي وصية واطلب منك ان تلقي عليها نظرة، واذا سمحت ان تأتي معي الآن إلى موضعي. قلت: نعم على الرحب والسعة. ولما دخلت إلى موضعه قال: ايها الحاج هذه وصيّتي، ولكن فيها سرّ بيني وبين الله واريد ان تعاهدني على عدم افشائه ما دمتُ حياً فعاهدته على ذلك. ثم انه قال: لقد كنت قبل الثورة انساناً سيئاً وشقياً ومن العيارين والفتوات في الأحياء، ما كنت اتورع عن ايذاء الناس وضربهم حتى وصلت بي شقوتي احياناً إلى مداهمة حمامات النساء وارتكاب المعاصي فيها وما شابه ذلك من القبائح. إلى ان انتصرت الثورة وازيلت معالم الرذيلة والفحشاء والخمور وما تلىٰ ذلك من وقوع الحرب، وفي تلك الأثناء مررت ذات يوم على مسجد ورأيت فتياناً صغاراً ينتظمون في صف واحد، فسألت عن سبب اصطفافهم هنا وهل هناك ارزاق توزع هنا من قبيل لحم الدجاج، او الزيت، او

البيض او ما شابه ذلك ؟ قيل : لا ، وانما هذا صف لقاء الله . تركت هذه الكلمة تأثيراً عميقاً في نفسي حتى انني فقدت صوابي ، وقلت في نفسي : ويلك يا حسن ، الناس كلهم يذهبون إلى لقاء الله ، وانت يا حسن قد فاتك القطار ، والكل يرتقون صروح المحبّة وانت لا زلت تغط في سبات عميق ، إلى متى تريد ان تبقى غارقاً في حضيض الدنيا .

وعلى كل حال فقد التحقت بالقافلة السائرة إلى لقاء الله وندمت على سالف اعمالي وتبت إلى ربّي . الّا ان ما يحزّ في نفسي حالياً هو ان من يذهب إلى لقائه يسير اليه بثياب نقية ، أما انا فأسير اليه حاملاً اوزاراً ثقيلة من الذنوب والمعاصي . انظر ايها الحاج إلى بدني . رفع قميصه فلاحظت عليه صورة امرأة عارية وعورتها ظاهرة رسمت على بدنه بالوشم . اثار ذلك المشهد استيائي . فقال : وهل رأيت شيئاً ؟ رفع القميص عن ظهره رأيت صورة رجل وعورته ظاهرة رسم على ظهره بالوشم . ازددت غضباً . قال : وهناك ما هو اسوء رأيت صوراً على جميع اعضاء بدنه وحتى على يديه ورجليه رسومات لعورات الرجال والنساء .

خرجت من عنده وانا في منتهى الغضب . فنادى من ورائي : لا ابيح لك افشاء سرّي لأحد . لم التفت اليه وواصلت مسيري نحو مقر القيادة ، ولم اجد الآمر هناك . فذهبت إلى موضعي واجتمع الاصدقاء وتداولنا اطراف احاديث شتّى . ونسيت أن أمر على حسن العيار .

مرت ثلاث او اربع ساعات على ذلك الموقف ونهض الأصدقاء وذهب كل منهم إلى شأنه . وخرجت من موضعي لاذهب إلى موضع حسن . فناداني أحد الأصدقاء : يا حاج ، يا حاج ! قلت : نعم . قال : لقد استشهد الآن حسن العيار . لقد ركب السيارة قبل ساعة وذهب لاداء مهمّة ، وبغتة سقطت على

السيارة قذيفة هاون اطلقها الجيش العراقي، واستشهد حسن.

كان صاحبي يحمل كيساً پلاستيكياً في يده، فاشار اليه وقال: وهذا جسده. صعقني وقع الخبر، فقلت: هنيئاً لك الشهادة يا حسن.

ان الله يختار من بين الناس التائب الذي كأنه ولدته امه توّاً. لقد استشهد هذا الرجل بعد ان تاب من جميع ذنوبه. توجهت إلى موضعه باكياً وأخذت الوصية، ووجدت انه قد كتبها باسلوب جميل وقد لفت نظري فيها ثلاثة امور هي:

اولاً: لا تحزني عليَّ يا امي فانَّ ابنك قد تاب، عسى الله ان يجعل عاقبتي إلى خير.

ثانياً: ذكر ضمن سياق مناجاته لله: الهي ان الموت مكتوب عليَّ، الّا انني أحب أن أقتل في سبيلك لكي أحظى بلقاك!، وأعلم أنني ارتكبت الكثير من المعاصي والذنوب ولكن اسألك اللهم ان لا تخيّب ظني بك. وانا قادم للقائك فلا تردني فانت ارحم الراحمين وانت غفار الذنوب.

ثالثاً: الهي إذا مُتّ ووضع جسدي في المغتسل ستظهر هذه الصور البذيئة منقوشة عليه. اللهم اسألك ان تحفظ لي ماء وجهي ولا تبذله أمام الناس على صخرة المغتسل.

نظرت إلى بدنه رأيته قد احترق وتفتت، وادركت ان الباري تعالى حفظ لحسن ماء وجهه وقبل توبته واستجاب دعاءه، وجعل عاقبة امره خيراً.

قال الشاعر:

لا تودع السر الّا عند ذي كرم
والسر عند كرام الناس مكتوم

والسـر عـندي فـي بـيت له غـلق
قد ضاع مفتاحه والبـيت مـختوم[1]

وقال شاعر آخر:

صـروف الدهـر تكـويني فـلا تـدري بـتكويني
وأيـامي تـلونني بـتغيير وتـلويني
وعـمري كـله فـان بـلا دنـياً ولا ديـن
فـلا عـز ذوي العـقل ولا عـيش المـجانين
ويـا قـلبي الذي قـد مـات ومـاتوا مـن يـعزوني
انـا مـن جـملة الأمـوا ت لكـن غـير مـدفون
ارى عـيشي لا يـحلو وأيـامي تـعادبني
وكـم انشـر آمـالي وصـرف الدهـر يـطويني
اقـول اليـوم واليـوم ولكـن مـن يـخليني[2]

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ١٢٠.
(٢) حدائق الانس ج١ ص٥٤٦.

٣٩ ـ جهانگيرخان

ذكر بعض العلماء وبعض الأصدقاء ان آية الله العظمى جهانگيرخان القشقائي رضوان الله عليه الذي كان من اكابر الزهاد في عصره، ومن جملة تلاميذه آية الله العظمى البروجردي، والشهيد آية الله السيد حسن المدرس وغيرهم، كان في بداية امره مقارفاً للذنوب ومفرطاً في المعاصي، وكان يتجول بين القبائل ويعزف على الوتر.

«الاحظ احياناً ان قول الحق لا يجد له آذاناً صاغية، ولا يبدو لكلام الناصحين اي اثر على النفوس وكأنه مطر على بذور مغروسة في ارض مالحة. ولكن اذا اعدت القلوب وطهرت النفوس تجد حتى لقليل الكلام تأثيراً بالغاً في ايجاد تحوّل كبير في الشخصية».

كان المرحوم آية الله جهانگير القشقائي من جملة الأشخاص الذين يضمون بين جوانحهم مثل هذا القلب. ومما ذكر في سيرة حياته انه امضى فترة شبابه حتى سن الأربعين كما هو حال سائر افراد قبائل القشقائيين في تربية الحيوانات وكان يجمع الناس حوله بواسطة العزف على الآلات الموسيقية، وكان يشارك في كل مجلس فسق وفجور.

وفي أحد فصول الصيف الذي جاءت فيه قبيلة القشقائيين إلى منطقة سيميرم (من نواحي محافظة اصفهان) لامضاء فصل الصيف فيها، ذهب هو

وعائلته إلى مدينة اصفهان لبيع بعض منتوجات الحيوانية ولشراء بعض مستلزماتهم.

وبعد قضاء اعماله المهمة في هذه المدينة الكبيرة، سأل شيخاً كبير السن صادفه في السوق عن الأُستاذ يحيى المسيحي المتخصص في صناعة آلات الموسيقى لاصلاح آلته الموسيقية. وبعد ان دلّه هذا الشيخ ذو الضمير الحي إلى موضع الأُستاذ يحيى الأرمني، قال له باسلوب الناصح: كان خليق بك ان تنشغل بعمل افضل من هذا، وتتعلم العلم، واذا كنت جاداً في اصلاح الوتر، اذهب اولاً واصلح وتر وجودك، وكفَّ عن مثل هذه الأعمال، واستقم في حياتك.

كان لهذا الكلام وقع كبير على نفس جهانگيرخان، واثار في قلبه اندفاعاً قوياً جعله يفارق قبيلته من هناك ويحط رحاله في اصفهان التي كانت حينها داراً للعلم، واتخذ لنفسه غرفة للسكن في مدرسة الصدر التي كانت من اشهر مدارس الحوزة العلمية في اصفهان، ومركزاً لاكابر الفقهاء والحكماء. وكف عن ممارساته السابقة. واندفع بشوق جارف لكسب العلوم الدينية على اثر تلك النصيحة التي اسداها له شيخ لا يعرفه. ولم يمض وقت طويل حتى غدا من اكابر الفضلاء والبلغاء، وقدوة لذوي المجد والفصاحة. ويكفي للتعرف على عظمة مكانته الخفية ان نعلم ان اشخاصاً كآية الله العظمى البروجردي المرجع الشيعي المعروف، والشهيد سيد حسن المدرس العالم المجاهد كانوا في عداد تلاميذه.

قال الشاعر:

طالما خَلا معاشي وطابا طالما سحبت خلفي الثيابا

طالما طاوعت جهلي ولعبي   طالما نَاهَزْتُ صحبي الشرابـا
طـالما كـنت أحب التـصابي   فــرماني ســهمه واصــابا
أيــها البـاني قـصوراً طـوالاً   اين تبغي هل تـريد السـحابا
انــما انت بــوادي المــنايا   ان رماك الموت فيه أصـابا[1]

(١) ديوان أبي العتاهية ص٥٢.

٤٠ ـ توبة عابد الصنم

جاء في كتاب «روضة الورد» للمرحوم الشاعر سعدي رضوان الله عليه ان رجلاً قال للصنم الذي يعبده؛ انقضت عليَّ سنوات وانا اعبدك، وافنيت عمري العزيز في طاعتك، ولم اتوجه إلى اي معبود غيرك، وهذه المرّة الأُولى التي اطلب فيها منك شيئاً.

اختلى بصنمه وعرض عليه حاجته وهو يئن ويبكي، ورمى بنفسه على الأرض ومرّغ وجهه بالتراب لنيل رضا الصنم حتى يقضي له حاجته، وخاطبه ثانية بالقول: انني في حيرة يا ايها الصنم فخذ بيدي. وقد مرت عليَّ أيام وأنا أُتيك مذعناً وأسألك حاجتي، فلا ترد لي جواباً ولا تحل لي مشكلة. لكن الصنم ظل كالصخرة الجامدة ومهما أطال النظر اليه لا يلتفت اليه، والعابد يظن ان الصنم ينظر اليه. وماذا بامكان الصنم ان يفعل وهو لا يقدر دفع الذباب عن نفسه.

ذات يوم نفد صبر العابد ونازعته نفسه للتمرد على الصنم، فثار عليه واطلق عليه لساناً ذرباً، فقال: ايها الصنم الضال البائس لقد عبدتك سنوات طويلة فان لم تقض لي حاجتي سأتوجه عوضاً عنك إلى الله.

تحول عابد الصنم في لحظة واحدة من الصنم إلى الصمد (اي من عبادة الصنم إلى عبادة الله). وتاب توبة خالصة، وتوجه إلى ربّه عن صدق نيّة.

لا تعوّل على صنم وتوجّه نحو ربّك واطلب منه ما تشاء من صميم

قلبك. اذا كنت إلى الآن ممن يعبد الأصنام ويطلب منها قضاء حاجاته فاكسر هذا الصنم واستذله واستحقره، وتوجّه من اعماق قلبك إلى ربك.

ان ما حصل لعابد الصنم هذا كان عودة خالصة إلى الله. وفجأة استجيب له وهو لم يزل ماثلاً أمام الصنم، وعلم ان حاجته قد قضيت له.

تناهت قصّة عابد الصنم وتحوله من الباطل إلى الحق، إلى اسماع أحد العلماء، فبقي متحيّراً فيها ولم يكد يصدقها وقال في نفسه: كيف يمكن لرجل قضى معظم سنوات حياته في عبادة الأصنام والضلال ان يدعو الله فيستجيب له في لحظة واحدة.

ما برح العالم يفكر بدهشة في هذه القضية حتى جاءه النداء من الله تعالى: اسمع يا هذا؛ ان هذا الشيخ عابد الأصنام طلب من صنمه حاجة فلم يُستجب له، ثم انه توجّه اليَّ وطلب حاجته منّي. فاذا لم استجب له، فما هو الفرق اذن بين الصنم وبين الله.

قال الشاعر:

سيأسل عن أمور كنت فيها
فما عذري هناك وما جوابي
باي حجة أحتج يوم الحساب
اذا دعيت إلى حسابي
هما امران يوضح عنهما لي
كتابي حين انظر في كتابي
فأما ان اخلّد في نعيمٍ
وأما أن أُخلد في عذابي[1]

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص٤٧.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ═ بيروت ـ لبنان ص. ب: ١٤/٥٤٧٩

22